رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

العدد (1879) السنة الثامنة
الاحد (15) آب 2010

أوراق

ملحق يعنى بآخر الاصدارات الحديثة في العالم يصدر عن مؤسسة المدى

عشيقة صدام تروي تفاصيل علاقتها في كتاب جديد

45 يوما في سجون طالبان

جنات مفروشة بالكلمات

كاسترو في سيرته الذاتية الساخنة

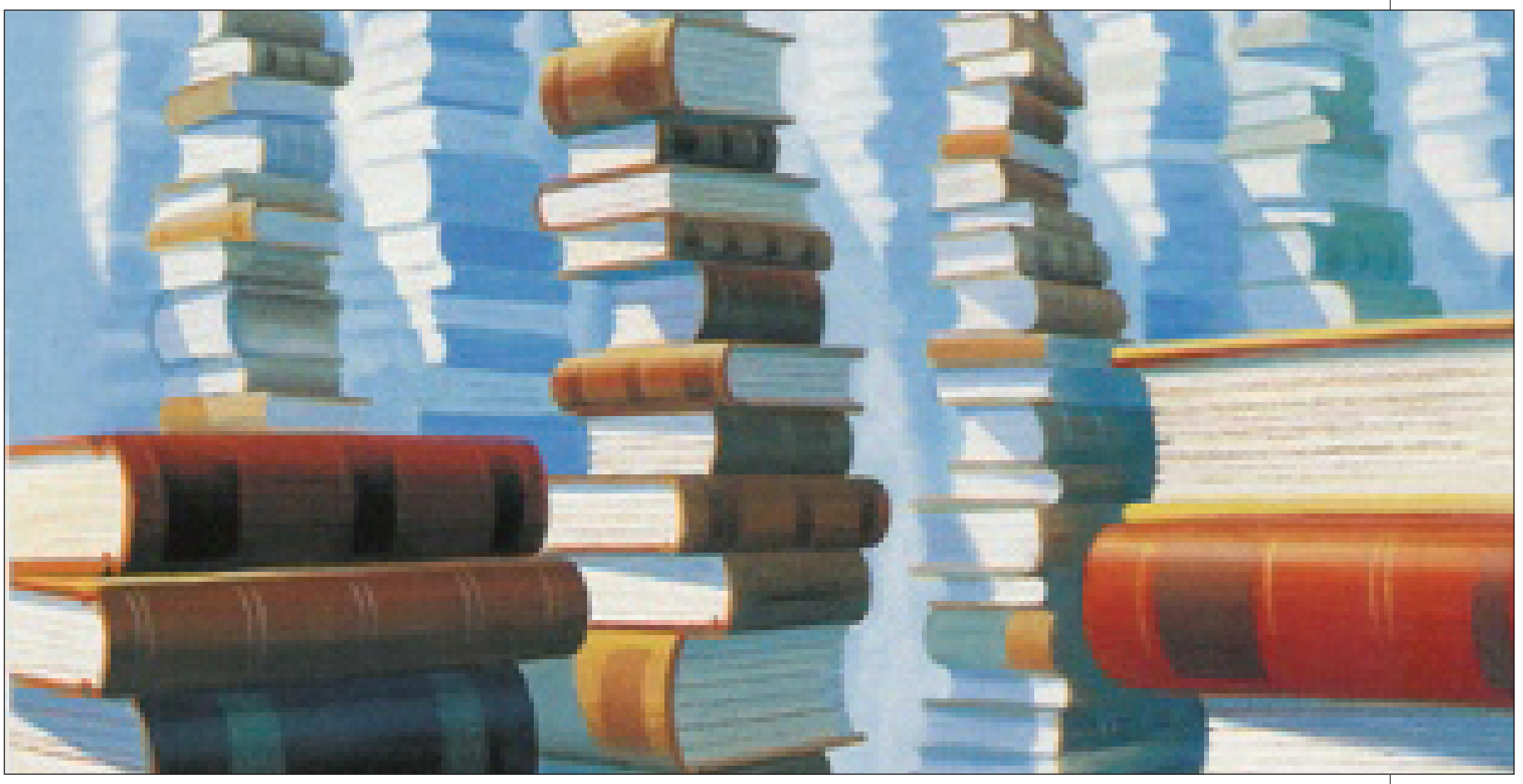

في زيارة قرى الكتب

جنات مفروشة بالكلمات

نجم والي

بعض الأساطير يصنعها أصحابها كأن مهمتهم في الحياة هي ليست غير هذا. ريشارد بوث هو أحد هؤلاء. فالشاب البريطاني القادم من المدينة الصغيرة هاي أون وي في إقليم ويلز عرف ذلك منذ أن بدأ بدراسة الإقتصاد (فرع تجارة الكتب) في جامعة أوكسفورد. بعد ثلاثة أو أربعة فصول دراسية قرر الشاب الذي كان في بداية العشرين من عمره أنذاك قطع دراسته والذهاب لتعلم مهنته التي أحبها في شوارع نيويورك: الاقتصاد تصنعه الحياة، تلك هي الجملة التي صرح بها في حينه، كأنه كان على يقين إن المستقبل ينظر إليه. في عام ١٩٦١ عاد الإبن الضال لمدينة هاي أو وي من نيويورك وبصحبته شحنة غير عادية، حمولة تقترب من الفنطازيا: كونتينة مليئة بالكتب، ٧٠٠٠٠ كتاب من الكتب النادرة "أنتيكفاريات"، وعندما أفرغ بائع الكتب المجهول حتى آنذاك بضاعته الثمينة تلك ليؤسس على صرحها مكتبته المشهورة "أنتكفاريات ريشارت بوث" والتي هي على شكل فيلا في مدينته الصغيرة هاي أو وي لم يعرف (أو ربما عرف؟ لماذا لا؟) إنه سيضع الحجر الأساس لما سيُطلق عليه لاحقاً "قرى الكتب" العالمية كما إنه سيساهم بجعل تلك القرية الصغيرة التي وجدت في مشروعه نوعاً من الانتحار أو في الأقل وجدت فيه شكلاً من أشكال المزاح الإنكليزي، تعيش نهضة اقتصادية حسدتها عليها ليس القرى بل حتى المدن المجاورة لها. الشهرة التي حصلت عليها مكتبته شجعت أصحاب مكتبات أخرى قدموا من مدن بريطانية أخرى على افتتاح مكتبات جديدة هناك، فبالتدريج تحولت البنايات التقليدية في القرية الصغيرة إلى مكتبات، مثلاً بناية السينما الوحيدة في القرية أو الكنيسة الوحيدة في القرية، بل حتى بناية الشرطة القديمة وبناية دار البلدية، قبل أن تتحول كل المحلات والبيوت القديمة في شارع القرية الرئيسي إلى مكتبات لبيع الكتب إصطفت إلى جانب بعضها، ٣٨ مكتبة تخصصت كل واحدة منها ببيع صنف من أصناف الكتب. لكن تاجر الكتب (أو بائع الكتب كما يُطلق عليه عندنا) الطموح ذاك لم يشأ الإكتفاء بذلك هو الآخر طمح بالوصول للعالمية، ومثلما جلب السوريواليون وقبلهم الدادائيون الشهرة لأنفسهم عن طريق فضائحهم التي تناقلتها الألسن ووكالات الأنباء، كان عليه ولكي يحقق ما طمح إليه أن يسبب هو الآخر بفضيحة من العيار الثقيل. في الأول من أبريل ١٩٧٧ وبعد التشاور مع سكان القرية دعا ريشارد بوث إلى مؤتمر صحفي أعلن فيه إستقلال "مملكة هاي أو وي" كما نصب نفسه ملكاً عليها، وسط حفاوة مواطنيه طبعاً. هناك صورة له مشهورة وهو يضع التاج على رأسه (رأيتها معلقة عند بوابة قصره عند زيارتي الأولى للمدينة عام ١٩٩٢)، صحيح إن الإعلان "الفضيحة" ذلك لا يستند الى فقرة في القانون الدولي وهو غير ملزم قانونياً، إلا أن تناقل الصحف للخبر "الفضيحة"، وبكل ما حواه من طرافة جعل اسم القرية الصغيرة النائمة على النهر الويلزي وي يطير إلى كل العالم، أغلب الناس ظنوا إنها مزحة عابرة وحسب، خاصة إن الإعلان جاء في الأول من أبريل، يوم كذبة نيسان، مزحة أطلقتها الصحف البريطانية التي إشتهرت بنشر خبر "فضيحة" مفبرك لكن مثير للضحك وعلى صفحاتها الأولى سنوياً في الأول من أبريل، لكن عندما تحدثت الصحف ذاتها بعد أيام عن قرار جديد صادر من ريشارد بوث "ملك هاي أون وي" وعن "المجلس الملكي" هناك يعلن عن امتناع هاي أو واي من دفع الضرائب إلى لندن، عرف المرء إن الأمر أصبح جدياً. سنوات من المماطلة ومن سياسة العصا والجزرة بين العاصمة البريطانية لندن وبين القرية الويليزية الصغيرة انتهت إلى استسلام "المملكة" المتوجة حديثاً إلى التاج البريطاني. لندن انتزعت حق الضرائب، وذلك ما يهمها، أما التاج الذي وضعه ريشارد بوث على رأسه فذلك أمر شخصي يعود إليه. اليوم تملك القرية الصغيرة التي لا يزيد سكانها على ٢٠٠٠ نسمة ٣٨ مكتبة لبيع الكتب، ويزورها سنوياً ملايين الزوار، ليس من محبيّ الكتب أو من تجارها وحسب بل تحولت إلى قبلة للسياح القادمين من كل أنحاء العالم، ليس هناك كتاب لا يُمكن العثور عليه هناك، كتب بمختلف اللغات (أقلها الكتب العربية طبعاً)، أغلب باعة الكتب هناك يشترون كونتينات شحن كاملة، كتب بسعر الجملة من مكتبات عامة أغلقت أبوابها أو أخرى خاصة أعلنت عن إفلاسها، من غير المهم في أية مدينة أو قرية في العالم، من غير المهم اللغة التي كُتبت بها، المهم، إنها كتب. بعض الكتب سعرها بسيط، بل رمزي، وبعضها يتعدى الآلاف، صديقي الكاتب الألماني المعروف فايت هاينيشين مثلاً الذي يعيش في مدينة تريستا الإيطالية والذي جاء خصيصاً لكي نلتقي هناك، إشترى مثلاً الطبعة الأولى من رواية "الأمواج" لفرجينا وولف بثلاثين ألف يورو، لأن توقيع فرجينا وولف الأصلي بقلم حبرها الشخصي على الكتاب.

أغلب المدن أو القرى الصغيرة في العالم تموت خصوصاً بعد هجرة أبنائها إلى هاي أون وي، فهي بإزدهار متواصل ومع مرور السنين، وهذا ما جعلها تضيف منذ عام ١٩٨٨ اشهر مهرجان أدبي وفني في العالم. في ذلك العام أطلق البريطاني بيتر فلورينس مهرجان هاي أو وي للأدب والفنون والذي يُدعى له كتّاب وفنانون عالميون مشهورون، عشرة أيام هي مدة المهرجان تستمر من نهاية شهر مايس إلى بداية شهر حزيران من كل عام، وعلى مدى أربعة عشر عاماً، أي حتى عام ٢٠٠٢ كانت صحيفة سانداي

في الأول من أبريل ١٩٧٧ وبعد التشاور مع سكان القرية دعا ريشارد بوث إلى مؤتمر صحفي أعلن فيه إستقلال "مملكة هاي أو وي" كما نصب نفسه ملكاً عليها، وسط حفاوة مواطنيه طبعاً. هناك صورة له مشهورة وهو يضع التاج على رأسه (رأيتها معلقة عند بوابة قصره عند زيارتي الأولى للمدينة عام ١٩٩٢)،

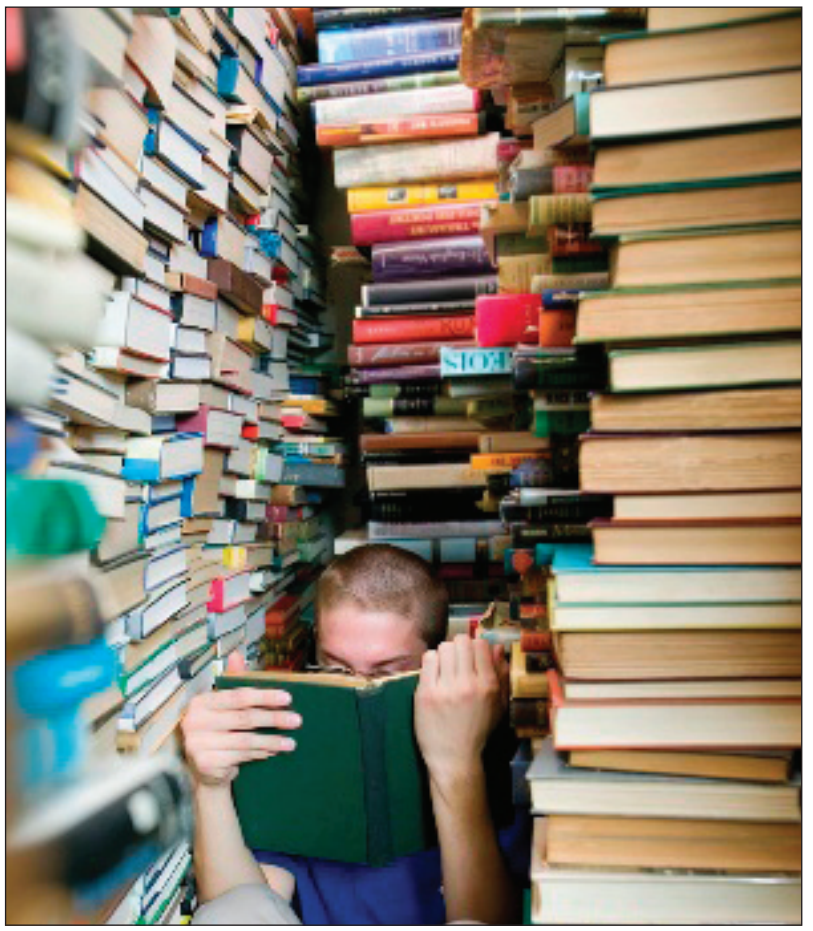

تايمز هي السبونسير الرئيسي للمهرجان، بعد ذلك التاريخ أصبحت صحيفة الغارديان البريطانية. الرئيس الأميركي السابق بيل كلينتون أطلق على المهرجان اسم "ووتستوك العقل" مقارنة بمهرجان ووتستوك للموسيقى في عام ١٩٦٩ (الذي مثل ذروة حركة الهيبي الاميركية والذي غنت وعزفت ورقصت فيه فرق موسيقى عديدة ومختلفة الأنواع في مزرعة بيتيل في ولاية نيويورك من ليلة ١٧ حتى صباح ١٨ أغسطس/آب)، والطريف هو أن بالتوازي مع ذلك المرجان تنطلق في المدينة فعاليات مهرجان للأطفال "هاي فيفير" (حمى الدَّريس).

ليس من الغريب أن تتحول هاي أو وي إلى نموذج لقرى كتب أخرى ليس في أوروبا وحسب، بل في بلدان مختلفة من العالم، بيشيريل وكويسيري ومونتيليو وفونتينوي لاجوت ولاشاريته سور لور ومونتموريو في فرنسا، بريدفووت في هولندا، دامه وريدو في بلجيكا، فيارلاند وتفيديستراند في النرويج، كامبونغ بوكو في ماليزيا، وكامبوشي وميياواغا (الإثنان على شكل قرية لكتب الأطفال المصورة) في اليابان، لانغينبيرغ ومولبيك وموليناخ وفونسدورف فالدشتات في ألمانيا، نيفادا في الولايات المتحدة الأميركية، بورغشتال في النمسا، سانت بيير دي كلاغ في سويسرا، سيدني في كندا، ساوثيرن هايلاندس بوكتريل في استراليا، سيسما في فنلدا، فياندين في لوكسمبورغ، فوتيكفيره في أستونيا، وفينغتون في بريطانيا. بعض تلك المدن تملك عدداً كبيراً من المكتبات، البعض الآخر يحوي على عدد قليل، وليس للأمر علاقة بكبر المدينة أو عدد نفوسها، حسب الإحصائية التي أمامي يتراوح عدد مكتباتها بيع الكتب في تلك المدن بين مكتبة واحدة إلى ٢٨، لكن تظل طبعاً مدينة هاي أو وي هي التي تتصدر القائمة في عدد مكتبتها: ٣٨ مكتبة، ليس لأنها مدينة رائدة في هذا المجال وحسب، بل بسبب حجم مساحة مكتباتها، والتي أغلبها كانت بنايات ضخمة سابقاً (فيلا كبيرة، أو مسرح أو كنيسة.. ألخ). وهذا ما تعلمه بعض أصحاب مكتبات بيع الكتب الجديدة، وأفضل مثال على ذلك هو مكتبة "لي بلويّه". فالمكتبة الواقعة في القرية الجبلية الفرنسية الصغيرة بانون (القريبة من مدينة فوركالكير) والتي هي أحدث المكتبات التي تأسست على خطى مكتبات هاي أو وي والتي زرناها قبل أسبوعين، تحوي وحدها ٤٥٠٠٠ كتاب، كبر البناية البارزة وفخامة طراز بنائها يُذكران بفخامة مكتبات مدينة هاي أو وي، ومن يزور المكتبة سيجد قصاصة من صحيفة نوفيل أوبزيرفير معلقة على الباب والتي تشير كيف إن المجلة المشهورة عالمياً إختارت تلك المكتبة من ضمن قائمة تضم أفضل عشر مكتبات لبيع الكتب في فرنسا، إلى جانب الكتب الأدبية والفلسفية يعثر الزائر هناك على كل ما له بكتب وخرائط السفر. في أيام الفصول المعتدلة وخاصة في أيام الصيف، موسم تفتح حقول الصندل البنفسجي في جنوب فرنسا (إقليم بروفونس بالذات) تتحول المكتبة إلى قبلة السياح في تلك القرية الصغيرة التي تحوي على ٣ مقاه ومطعمين أو ثلاثة فقط، أما في أيام الشتاء فيزورها سياح رياضة التزحلق على الجليد القادمون من فرنسا ومن بقية مدن العالم للتزحلق على قمة جبل مونت دي لور. مدينة بانون هي في الحقيقة أحدث تلك المدن التي تبني صرحها على كتاب.

مدن وقرى صغيرة ومكتبات أكبر منها، جنات مفروشة بالكلمات، ستغريك مثلي بزيارتها الواحدة بعد الأخرى، حدائق ما أن تمشي في ممراتها حتى تكف رغبتك بالمغادرة..فتش عنها معي وستجدها موزعة على الكرة الأرضية، في كل القارات، بل ستجدها في بقاع ما خطرت على بالك في يوم، أينما وليت ستجدها أمامك إن شئت.. شرقاً أو غرباً، جنوباً أو شمالاً...نعم، لا تستغرب أن تعثر عليها في كل مكان، بإستثناء مكان واحد طبعاً، ولا حاجة لي لتسميته لك، أعتقد أنك تعرف ما أعني: في البلدان الناطقة بالعربية طبعاً...فهل في الأمر مفاجأة.

ليس من الغريب أن تتحول هاي أو وي إلى نموذج لقرى كتب أخرى ليس في أوروبا وحسب، بل في بلدان مختلفة من العالم، بيشيريل وكويسيري ومونتيليو وفونتينوي لاجوت ولاشاريته سور لور ومونتموريو في فرنسا، بريدفووت في هولندا، دامه وريدو في بلجيكا، فيارلاند وتفيديستراند في النرويج، كامبونغ بوكو في ماليزيا،

علوم الحرية

من الكلمات الشائعة عن رئيس الوزراء البريطاني الأسبق تشرشل قوله: «إن الديمقراطية هي أسوأ أنظمة الحكم، باستثناء جميع الأنظمة الأخرى». مؤرخ العلوم الأميركي تيموثي فيريس يوظّف لحسابه هذه الجملة عن فضائل الأنظمة الديمقراطية كي يقول بوجود نوع من التواكب، بل التلازم، بين الحريّة وتقدم العلوم. بل يذهب إلى حد القول إن العلم الحديث والديمقراطية الحديثة عرفا تطورا «متوازيا» في العالم الغربي منذ ٣٥٠ سنة.

ولا يتردد المؤلف في التأكيد أن مثل هذا «التلازم» ليس أبدا محض مصادفة كما يقول البعض. ويقول إن التاريخ يثبت ذلك بوضوح. يقول: «إن الثورة الديمقراطية هي التي حرّضت على قيام الثورة العلمية وأن العلم لا يزال عاملا أساسيا في نشر الحرية السياسية اليوم». بمعنى آخر الازدهار العلمي يولّد البحث عن الحرية والحرية تمثل مناخ الازدهار العلمي. وهذا ما يعبّر عنه المؤلف بوجود رابطة وثيقة، علاقة السبب والنتيجة بالتبادل، بين العلم واللبرالية. ثم إن علماء متنورين من «جون لوك» إلى «غاليلي» ساهموا إلى حد كبير في إخراج البشرية من عصور الظلمات التي كانت تعيش فيها.

ويلجأ المؤلف بصورة منهجية إلى محاولة التأريخ للتقدم الإنساني «حجرة فوق حجرة» وحيث يتطلب منه مثل هذا العمل الدقيق والشاق تكريس حوالي المائة صفحة الأولى من الكتاب. لكنه يحرص على أن لا يقوم بمثل هذا العمل «الأكاديمي» بصورة «جافّة» بل يستخدم كمّا كبيرا من الحكايات والأحداث التي تعرّض لها العلماء عندما طرحوا أفكارا جديدة على مجتمعاتهم.

هكذا يشرح مثلا أن الآباء المؤسسين للولايات المتحدة «الجدود» كانوا بأغلبيتهم من ذوي النزعات العلمية التي لم تكن بعيدة عن «ذهن الحريّة» لديهم. فتوماس جيفرسون كان قد اخترع «آلة لرفع الأثقال» وبنيامين فرانكلين أقام صلة بين الكهرباء والصاعقة عبر استخدام خيط من الحرير وطائرة من ورق. ومثل هذا الكثير من القصص البسيطة المألوفة التي يعطيها المؤلف أهمية كبيرة من حيث دلالاتها في الفترة التي ظهرت فيها.

بالمقابل يرى المؤلف أن العلم قد حقق تقدما كبيرا في مسيرته خلال القرن العشرين. هذا على رغم عمليات «الكبح العلمي» التي قامت بها الأنظمة ذات الطبيعة الدكتاتورية. ويتحدث المؤلف عمّا يسميه «معاداة العلم» لدى النازية ولدى الثورة الشيوعية الصينية.

ذلك أن العلم قوبل بقدر كبير من القمع الصارم والتوظيف الإيديولوجي البعيد عن مناخ الحرية.

إن المؤلف يكرّس كذلك عددا من الصفحات لما يعتبره نوعا من النزعة المعادية للعلم ومن التقاليد البعيدة عن اللبرالية في حقبة ما بعد الحداثة، وذلك تحديدا في الأوساط الجامعية التي يتم التعامل فيها أحيانا بذهنية «الاستعباد» حيال الباحثين والطلبة. هذا في الوقت الذي يستدعي فيه التقدم العلمي قبول تناقض الآراء بحثا عن الحقيقة بكل موضوعية.

وينقل المؤلف عن الفيزيائي «لي سمولن» قوله: «إن العلم يأتي من تصادم أفكار متناقضة ومن نزاعات بين أناس يحاولون أن يحققوا نتائج أفضل من تلك التي حققها أساتذتهم، واعتقد أن مثل هذا الأسلوب يمثل نموذجا لمجتمع ديمقراطي تتواجه فيه الأفكار وتتفاعل». وبنفس المعنى تقريبا يؤكد تيموتي فيريس أن «العلم لا يزدهر إلا في أوساط الحريّة».

المطلوب هو إذن تشجيع التجريب وإفساح المجال حرّا من أجل سبر مضامين الأفكار الجديدة والاستماع إلى أصوات جديدة واستخدام طرق مبتكرة. والمهم في هذا كله أن تكون «مصلحة البشر» هي الهدف المنشود الذي يتم البحث عنه. وهذا هو أيضا هدف الحرية.

ومن المسائل التي يحاول المؤلف البرهان عليها في هذا الكتاب، للتدليل على العلاقة «العضوية» بين العلم والحرية قوله أن الأفكار العلمية لغاليلي غاليليو ولإسحاق نيوتن كان لها تأثير كبير على الأفكار الفلسفية لجيمس ماديسون والكسندر هاميلتون. وبالتالي على أفكار عصر التنوير لاحقا وكذلك على توجيه الولايات المتحدة نحو تبنّي المنظومة الديمقراطية. وبهذا المعنى يتحدث المؤلف عن «دور العلوم في تثبيت مفاهيم الحريّة». وما يرى أنه يشكل صميم تحليلات هذا الكتاب.

الكتاب: علوم الحرية
تأليف: تيموثي فيريس
الناشر: هاربر نيويورك

أوراق
العدد (1879) السنة الثامنة - الاحد (15)
آب 2010

عن منامات إبن سيا

ياسين طه حافظ

بين لاه في القراءة ومتصفّح، وجدتني أتخذ سمة الجِدّ وأقرأ متفحّصاً ما يرتسم من تعابير وما يشار له من افكار، ولعل اول ما استهواني في الكتاب هذا النمط الكتابي الذي نجده في الحكايات الشعبية والحكي اليومي بلطفه ولذْعه ولمسات الواقع الحي فيه. فنحن في "منامات ابن سيّا" نجد السخرية المرة المكسورة بمزحة عراقية، ونجد هجاءً كما نجد تأملا ومحنة تنحسر لتحل مكانَها محنة أخرى. بقي ان نسأل: كيف نرقى بمضمون كهذا، الى الفن والفكر والادب الارقى؟

الكاتب الشاعر ذو قدرة واضحة بل متفوقة على التعبير، فاللغة رهن يده والموضوعات التي تختلط فيها الافكار والدنيويات العابرة كثيرة لديه ولا يحس بفقر الى مثلها، بل تحت يديه ما لا يتيسر وقت لتناوله.

فالمنامة الاولى مهدت لما هو اكبر، لموضوع كبير او موضوعات جادة، ما فارقتها السخرية وما فارق السخرية النفاذ الى الواقع الاجتماعي المدان. لكن بدلا من ان نتقدم الى فعل ادبي حقيقي سرعان ما تسحبنا الشعبية الى اسفل. فبداية "قرقوري" بائع الشاي، مفتتح لعمل عظيم لكن المحلية، الطرافة في المحلية، اصرّت على النزول الى مذاقات الهجاء والاستظراف. فبدلا من الافق الواسع في الثقافة والفكر وعذابات الانسان ومحنته في العيش، يأخذنا الحديث الى النظام السابق والنظام اللاحق وعدم توجيه الدعوة لأديب يرى نفسه جديرا بها الخ... هذه الصغائر التي يكبر عليها المبدع الكبير صاحب القضية او الهم الفكري. ومما يؤكد احقيتي في هذه الملحوظة هو اني أرى المؤلف في عموم الكتاب رجلا ذا افق واسع ويتمتع بمؤهلات الكتابة الابعد عمقا انه أوسع افقا، مما شغل نفسه فيه من نواقصنا اليومية وهي نواقص مزمنة في كل الدنيا، وبلا استثناء.

ففي ازمنة مرتبكة وفي فوضى ثقافة، ناتجة عن فوضى مجتمع، ليس غريبا ان نجد الشعر ليس شعرا واننا مغرقون بخليط من الهذر مما أشار له في منامته. ذلك كله يمكن لكاتب جاد ان يختزله بإشارة ويستمر في موضوعه الأهم.. اما ان يهمل إشاراته الفكرية المهمة وانتباها ته الفلسفية لتشغله مسألة يومية عابرة كأن يكون مدعوا او غير مدعو لمهرجان شعري وان يكون ما يسمعه ليس شعرا، فذلك معروف معتاد عليه في مجتمعاتنا التي يأكل قيمها وأنظمتها السوس والأرضة، وتتوزعها المصالح والاحزاب. هذه مسائل تافهة مفروغ منها وما علينا هو ان نكتب ونطور فننا ونغني ثقافتنا بالمزيد. أما ان ننشر او لا ننشر، فتلك متطلبات نفسية واجتماعية لكل تقديره فيها. ويبقى الشاعر الكبير اكبر من كل النواقص والعيوب حواليه.

مقدمة "شخناب" مقدمة غير اعتيادية. هي كشف فكري وكتابة ادبية دقيقة، بعبارة متمكنة ونافذة. لكن الطرافة المحلية، حس السخرية، السرد "السروجي" ربما او سرد ابي الفتح الاسكندري، وربما ألف ليلة وليلة سمات فرضت نفسها وسحبت النص اليها، ساعدت على ذلك طبيعة الشاعر وخفة دمه، المثقلة بالألم مما يرى، فكان النص نتيجة لذلك وبعد ذلك التقديم، أقرب للأرض، أقرب

للمحلية الاعتيادية، تلك التي تفتقد الافق، الافق الذي ينأى بالنص عن الاعتيادي الى العميق الجاد. ان إشكالات فلسفية مهمة في المنامات أضاعها النظم وروح النكتة.

شخناب في المقدمة غير شخناب بعد القريض لا نريد تحويل الشخصيات الجادة المتَحَنة الى بهاليل..

وبعد القريض ينهض النص ثانية ونواجه تساؤلات من تلك التي تنهض بها الاعمال الكبيرة:

"شخناب المجِدّ "الذي يعمل ابدا"، يتساءل ان كان البيع كالربا وان العمل أحيانا كالقتل والسرقة وبأنه قاتل ومجرم لأنه يمحو الحياة ويشوهها ويطيل تقييدها ويعجل بزوالها.. من يخبره بان الحلال والحرام والزنا والزواج توائم تفصلها الشرعية؟ من يوقف شخناب من دورانه الذي سقط فيه...؟"

فإذا عدنا الى مقدمة شخناب "الذي لا يحترم الزمن لانه أصلا غير موجود فيه ولا يحس به ولكنه يحتفظ بآلات قديمة ومأثورات تقيس جانبا مهما منه"، نكون بعد هذا الكلام امام أعقد مشكلات الانسان الوجودية. وكان يمكن للشاعر الكاتب ان يستثمر موضوعة "انه لا يحترم الزمن لانه غير موجود فيه..." وتستكمل ذلك تساؤلات المنامة الرابعة، حيث "الزعيم يرثي نفسه":

هل الحياة شغلت الناس هكذا في كل زمن
وأذهلتهم عن مصائرهم، هكذا؟ ترى
ماذا يفعل المرء اذا لم يكن بيده سوى
ان يبكي أشياءه؟

هي بالتأكيد تساؤلات مهمة وفي مستوى غير الذي يسحبنا اليه "المزاج العام" وهو مزاج محلي بسيط في جميع أحواله.

لقد تفضل الاستاذ د. فاضل عبود التميمي بمقدمة امتازت بعلمية الدرس والتأصيل، وجهدَ مشكورا في التوصيف لهذا الجِنس الادبَـي. وانا شخصيا أكبره وأُجلّ علميته وبصيرته. لكنه للاسف لم تشغله قضية "الرفعْة" او "السموّ الابداعي" الذي يمنح النص قيمة ثقافية ومدى انسانيا، انا متأكد انه انتبه الى ذلك وتمناه كما اتمناه، ولكنه رجل دارس شُغِلَ بما تحت يده لا بما يتمنى.. نعم، الامور الصغيرة العابرة لا تخلو من اهمية، ولكن كبر هذه الاهمية وازليتها هو موضوع الاهتمام. ثمة ما تختص به الصحف اليومية لا المبدعون المفكرون. وقد توسمت في مؤلف المنامات متأملا اكبر مما يعيب "المؤذن" او سواه لما يرد في المنامة الخامسة، مثل هذا من المعارضة وهو ليس منهم... هذه مسائل تجدها في المقاهي، في العمل اليومي، في المكتب والجامعة والمستشفى، وسواء كان منهم او لم يكن، القضية برمتها لا تستحق اهتمام اديب متمكن عارف بصير بالدنيا وشؤونها.. تمنيت الا أجد في الكتاب، بعد تلك التساؤلات الفكرية المهمة كلاما مثل:

معارضة
بل مائدة
يؤمها الجائعون
ويملؤون البطون...

شاعرنا اكبر من هذا والفكر الذي تخلل المنامات بعامة، ارفع من هذا الكلام وابعد كثيرا. لا أدري كيف فات الاستاذ الدكتور فاضل عبود التميمي، وانا أكن له الاحترام واعرف مقامه العلمي، أقول كيف فاته ان يشير لزميله د.تقي بحذف ما لا ضرورة له، او ما يهبط بما سبقه من رؤى وتصورات وأفكار.

وتكاد تكون هذه صفة ملازمة للمنامات ففي المنامة السادسة مسألة ان يشمل الزيف العلم والعلماء.. ولستُ مع هذا التعجل او التساهل في اطلاق التسميات الشائنة. فقوله: هم سفلة أدمنوا العاهرات وعاقروا المسكرات... المفترض من أديب شاعر ومثقف مفكر، ان ينظر الى الضائعين والممتحنين الحائرين، والتائهين في الكون بمنظور ثقافي معرفي، فيه تعاطف وفهم لا ادانة وشتم. هذه عدوانيات وكراهات العوام، أُجِلّ الصديق المؤلف المبدع عنها ..

في زمن الثورة البولشفية. كان ناس خارج الثورة يقتلون احزانهم وكآباتهم بالفودكا. وفي الحرب العالمية الثانية، وحيث فيلق المقاومة الفرنسية من المثقفين، كان ناس مهمومين يقضون نهاراتهم سكرا وحزنا. لم يسمهم أحد "سفلة"، هذا شأن بعض الناس في كل الأزمنة. وما دمت ياصديقي متتبعا لأمور "دينك الحنيف.." ألم يكن من المسلمين ومن المشركين من لم يشغله الأمر ومن نأى بنفسه؟ من قال أنهم رديئون سفلة. قد يكونون في رأيك مقصرين، ولكنهم فلسفيا ووجوديا، إذا شاركوا، كانوا مقصرين في حق أنفسهم! أوَ لم نندم على ما أضعنا من اعمارنا في النضال وما تلاه من ملاحقات وسجون وعرفي وبؤس عيش ورداءة مصير؟

ما أردت انهي مقالتي من غير وقفة احترام أخرى لأنموذج "بيعارو" هذا أنموذج يصلح لبطولة عمل روائي أو مسرحي كبير! شكرا للدكتور محمد أن نبهنا إليه وله فضل من انتبه له أولا في الأدب.

ومثل هذا أقوله عن "حسام الرقاص" ومشكلة إنسان يعيش زمنا مقطوعا، لا ماضٍ وراءه ولا مستقبل امامه. هذه إشكالية وانْ كانت افتراضية، لكنها موضوعة كتابة وتفكير متقدمة. كما ان القصيدة الأولى التي تلت التعريف، في رأيي أكثر قصائد الديوان أهمية وأفضلها تكاملا فنيا، هي قصيدة محترمة حقا.

كل ملاحظاتنا لا تغير من حقيقة إننا بإزاء عمل غير مألوف، وهو نوع من التأليف أتمنى ان يترسخ على يد مبتدعه، وأيدي سواه. فالمؤلف، وهذه كلمة حق، رجل ذو طاقات واضحة وذهن ذكي متوقد ويتمتع بروح محلية أعطت للكتاب مذاقا شعبيا نفتقده عادة في الكتابات الجديدة.

يقول القائد الثوري و الرئيس الكوبي السابق فيدل كاسترو إن كفاح طفولته ضد السطة الجائرة هو الذي حوّله إلى متمرد و ثوري، كما جاء في مقتبسات من سيرته الذاتية نُشرت على الانترنيت مؤخراً، قبل أسبوع من بلوغه سن الـ ٨٤ . فأنا، كما قال، " لم أولد سياسياً، ولو أنني و أنا طفل يافع كنت أراقب الأحداث التي ارتسمت في عقلي وساعدتني على فهم وقائع العالم "، كما جاء في هذا القسم الأول من السيرة الذاتية (النصر الستراتيجي)، التي يكتب الآن القسم الثاني منها.

كاسترو.. في سيرته الذاتية الساخنة

ترجمة / عادل العامل

و مما يجدر بالذكر أنه و بعد أربع سنوات من تنازله عن رئاسة الدولة لأخيه الأصغر منه راؤول، ٧٩ عاماً، و خضوعه لعملية جراحية حساسة، يبدو كاسترو قد تعافى بما يكفي لأن يظهر علناً و يكتب بانتظام و بشكل واسع في صحف رسمية و مواقع إنترنيت.

و نحن نجده هنا في فصل من ٦،٥٠٠ كلمة من سيرته الذاتية، التي لم يُحدد تاريخ لنشرها، يغطي تجربته من ولادته إلى تعلمه الديني مع الجزويت، و الفترة التي درس فيها القانون في جامعة هافانا، حيث بدأت كما يقول حياته السياسية جدّياً. و كان تمرده الأول " على نحوٍ واعٍ " حين كان ذاهباً و هو جائع في بيت معلم حيث كانوا يذهبون للتعلم قبل المدرسة، و في ما بعد، حين قذف و هو في سن ١١ عاماً معلماً ضربه في الصف بقطعة خبز عليها زبدة. " لقد رميتها في وجهه ... ثمّ ضربته بيديَّ و قدَميَّ أمام كل التلاميذ ... على النحو الذي تركه فيه استبداده و طرقه التعسفية مَخزيّاً. كان حدثاً ظلت المدرسة تتذكره لوقتٍ طويل ".

كما يتذكر كاسترو إرساله رسالةً " مفعمة بالإعجاب " إلى الرئيس الأميركي آنذاك فرانكلين ديلانو روزفلت، و التي تلقى رسالة إقرار بتسلمها من سفارة الولايات المتحدة في هافانا. و مما قاله كاسترو أيضاً في هذه المقتبسات من سيرته الذاتية إنه كان جيداً في الكتابة، و أحسن مع هذا في الرياضيات، و رياضياً ممتازاً، و عاشقاً للبندقية منذ وقت مبكر من حياته. و قد غابت بشكل واضح تفاصيل حياته العاطفية، باستثناء تذكّره المرة التي بكى فيها أمام صديقته بعد أن منعه بعض الشقاوات عند باب الجامعة! " لقد كنت أعرف أن العدو فوق الاحتمال. و لم يكن هناك، برأيي التصوري، من بديل متبقٍ سوى مواجهة التهديد. و كان بمقدوري أن أمسك ببندقية و سأظل أحملها .. لقد كانت تغلبني روح من التنافس و ربما الاعتداد بالنفس و الزهو الشائعة لدى الكثير من الشباب، حتى في أيامنا ". و يقول كاسترو إنه كان واحداً من قليلين كانوا يجرأون على الحلم بالثورة في وقتٍ كانت تتنامى فيه " الامبراطورية " (الولايات المتحدة). " لكن لا أحد كان باستطاعته أن يأخذ على عاتقه القيام بعمل بطولي هو مزيج من فكَر، و أحداث و تضحيات الكثير من الناس.. و كنا، مع تلك المكونات، قادرين على انتزاع استقلال كوبا التام و نُنشيء ثورةً اجتماعية قاومت بشرف أكثر من خمسين عاماً من هجمات و حصار الولايات المتحدة ".

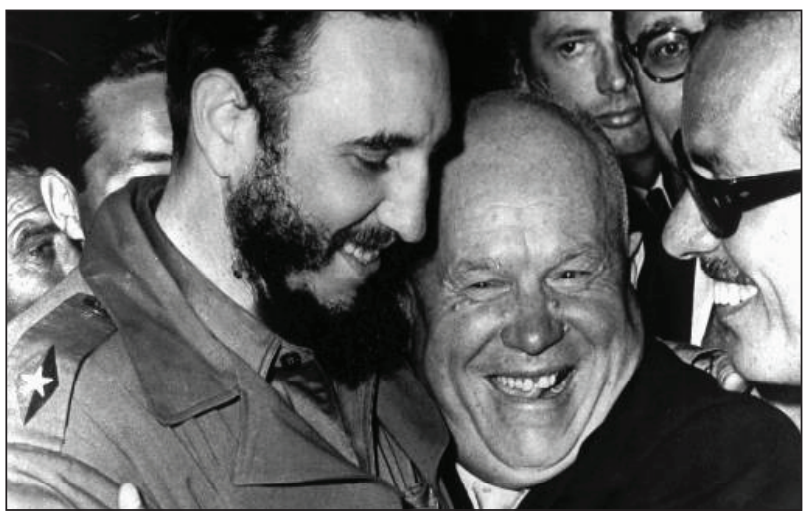

و قال كاسترو، الذي ما يزال في قيادة الحزب الشيوعي الكوبي القوي، إن لديه ذكريات " لا تمحى " عن الظروف التي حولته إلى مقاتل حرب عصابات. " و إن من السارّ جداً تذكرها، لأنه ليس هناك من طريقة أخرى لتفسير كيف أنني ابتدعت المعتقدات التي حددت، بعد كل شيء، السبيل الذي كان علي أن أسلكه في حياتي ". و كانت نقطة انعطاف الثورة، كما قال، حين تقدم، و ٣٠٠ رجل تحت قيادته، و هزم جيشاً من ١٠،٠٠٠ عسكري في جبال سييرا ماسترا المنيعة في خمسينيات القرن الماضي.

و إن " استغلال العمل البطولي " ذاك، كما قال كاسترو، كان هو الايحاء بالقسم الأول من سيرته الذاتية، و هو كتاب من ٨٩٦ صفحة مليء بالصور، و الخرائط، و الوثائق التي قدمها مؤخراً لرفاقه القدامى في السلاح. و قال إنه يشتغل الآن في القسم الثاني من قصة حياته، الذي يغطي هجوم التمرد الأخير الذي جلب لعصبته الملتحية من المقاتلين النصر النهائي في هافانا يوم ١ كانون الثاني ١٩٥٩.

عن / yahoo news

خزانة المدى

باسم عبد الحميد حمودي

مقامات الحريري

جذبت مقامات الحريري بروعتها وجمال أسلوبها اهتمام المصورين الذين بادروا إلى تزيين مخطوطاتها وتمثيل قصصها بالرسوم، ولم يحظَ كتاب عربي بمثل ما حظيت به هذه المخطوطات من عناية.

لا جدال في أن فن القصة القصيرة مدين في نشأته الأولى بالكثير إلى فن المقامات الذي ابتكره الأدب العربي في نهاية القرن الخامس الهجري (١١م) على الأرجح، والرائد الحقيقي لفن المقامات هو بلا شك «أبومحمد القاسم بن علي الحريري» الذي ألف كتاباً نُسب إليه هو «مقامات الحريري»، وهو يحتوي على خمسين مقامة أو قصة قصيرة، وقد أهدى هذا المؤلف البديع إلى الوزير أنوشروان بن خالد وزير السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي والذي تحكم في شؤون الخلافة العباسية على أيام الخليفة المسترشد بالله، وكان ذلك في بعض سنوات الربع الأول من القرن السادس الهجري (١٢م).

وتؤلف المقامات مجموعة من القصص القصيرة ذات الطابع الخاص يحكيها أحد أثرياء العرب وهو «الحارث بن همام» ويذكر في كل واحدة منها حادثة شاهدها بنفسه وكان بطلها رجل يدعى «أبا زيد السروجي».

وتبدو هذه الشخصية في مقامات الحريري في صورة شيخ احترف الأدب ثم ضاقت به سبل العيش فغادر بلدته «سروج» في أعالي الفرات وراح يحتال على الناس أينما حل، مفيداً من مهاراته الأدبية وفي روح ملؤها الدعابة والمرح مع الإشارة الساخرة إلى ما في المجتمع من المساوئ والعيوب.

ويعتقد بعض العلماء أن هذه المقامات ليست سوى صورة مهذبة ومحررة من قصص خيال الظل التي صنعت لتسلية الجمهور غير المثقف، ولذلك لم تُدون. ومنذ قام الحريري بكتابة مقاماته أخذت تمثيليات خيال الظل التي أنتجت بعد ذلك تستلهم وقائع هذه المقامات.

ومهما يكن من أمر الأجواء التي أحاطت بظهور المقامات فقد جذبت بروعتها الأدبية وجمال أسلوبها ولطف دعابتها اهتمام المصورين فعنوا بتزويق مخطوطاتها وتمثيل قصصها بالرسوم، حتى يمكن القول بأنه لم يحظَ كتاب عربي بما حظيت به هذه المقامات من عناية الخطاطين والمصورين. ويظهر أن السبب وراء تعدد النسخ المخطوطة من هذا الكتاب كان تقدير النخبة المثقفة للإبداع اللغوي فيه كما أنه يهيئ بطلاً شعبياً هو «أبوزيد» الواسع المعرفة المتشرد المحتال الذي عاش بذكائه واستطاع باستخفافه البارع بالقانون الأخلاقي الرسمي أن يتغلب على صعوبات الحياة.

ولعل الحريري قد استوحى هذه الشخصية من قصص الشطار والعيّارين الذين انتشروا في بغداد وغيرها من مدن الشرق الإسلامي في أواسط القرن السادس الهجري حيث حاولوا أن يطبقوا شكلاً متساوياً من العدالة الاجتماعية وذلك عن طريق الدعوة إلى المساواة في الملكية ومقاومة الجهود التي تبذلها الحكومات للمحافظة على النظام.

ومن أقدم المخطوطات المعروفة لكتاب مقامات الحريري نسخة مؤرخة بعام ٦١٩هـ وتضم هذه المخطوطة المحفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس ٣٩ صورة، وتليها مخطوطة ثانية في المكتبة ذاتها ولكنها مؤرخة في الربع الثاني من القرن السابع الهجري (١٣م) ومن أهم محتوياتها صورة تمثل السروجي وهو يغادر الحارث أثناء الحج وذلك ضمن الأحداث التي ورد ذكرها في المقامة الحادية والثلاثين. وفي مكتبة فيينا الوطنية مخطوط من المقامات نسخة «أبوالفضل بن أبي إسحق» والشخصيات فيها تملأ بقاماتها المديدة مقدمة الصورة وقد اعتمرت العمامات المتعددة الطيات والملابس العربية التقليدية المزدانة بشتى أنواع الزخارف البنائية والهندسية الشائعة في الفن الإسلامي، والوجوه جميعها بيضاوية الشكل ولها عيون لوزية بينما تنسدل الشعور من خلف العمامات وتتراوح ألوان اللحى بين الأسود والأشهب والبني المحمر وهو ما يعكس اختلاف المراحل السنية للأشخاص وكذا تباين أصولهم العرقية. وبالجملة تعد مقامات الحريري بمادتها الأدبية ذات الصبغة الاجتماعية والسياسية وبصورها ذات الطابع الواقعي من أهم كنوز المعرفة بالتاريخ الاجتماعي للمجتمع الإسلامي الوسيط.

أوراق
العدد (1879)السنة الثامنة -الاحد (15)
آب 2010

دور الكلمة في تأريخ الحركة الأشتراكية

ترجمة جودت جالي

ملاحظة المترجم: هذا جزء من بحث طويل للمفكر الفرنسي ريجي دوبريه بعنوان (الأشتراكية دورة حياة) وقد ترجمنا منه ما يختص بدور الكلمة، والعنوان من وضعنا).

****

إن مبتكر كلمة (أشتراكية) هو المطبعي والموسوعي العبقري ومناضل ثورة ١٨٤٨ (بيير ليرو) المولود عام ١٧٩٧ وكان والده يعمل ساقيا في حانة. درس ليرو في الأعدادية الصناعية وألتحق بورشة طباعة حيث أبتكر طريقة طباعية جديدة سماها (بيانو تايب). أسس صحيفة (غلوب) عام ١٨٢٤، وبالأشتراك مع جورج صاند أسس (ريفيو أندبندانت) عام ١٨٤١. أسس بعد أنتقاله الى (بوساك) دار نشر خاصة به وأجتذب مجموعة من الأتباع والقراء. أنتخب عضوا في الجمعية التأسيسية عند قيام ثورة ١٨٤٨، وكرمته ثورة الكومونة١٨٧١ رسميا عند وفاته. أن التعبير المركب (الكتاب، الجريدة، المدرسة) هو الذي أصبح بعد هذا التأريخ الداينمو المحرك للتطورية الحلزونية للحركة العمالية وقد جرى تمثيله خير تمثيل بشخص ليرو بحيث يمكننا القول أن الأشتراكية ولدت وبطاقة المطبعي معلقة حول عنقها.

كان (الكتاب، الجريدة، المدرسة) هو المفكرة العملية التي سبقت البرامج السياسية، وبهذا فالأشتراكية كانت أعدادا حرفيا مهنيا قبل أن تكون عملية ذهنية، وقد أنطلقت في لحظة تأريخية معينة...الأممية الأولى التي أسست في لندن عام ١٨٦٤، ورابطة التعليم التي تأسست في باريس عام ١٨٦٦، وأختراع الطباعة الدوارة عام ١٨٦٧ من قبل (مارينوني)، والتي يسرت مضاعفة معدل الطبع عشر مرات، ولكن أنطلاقها جاء أيضا مع تشكل معين للوعي. كتب ناظر العمال (بيير برونو) في مذكراته التي طبعت عشية الكومونة (أن طبقة القرن التاسع عشر العاملة لها ثلاثة طموحات الأول هو مكافحة الجهل والثاني مكافحة الفقر والثالث مساعدة بعضنا بعضا). أذن كان أول وأهم طموح هو النضال ضد الجهل، جمع شتات صرخة قوى العقل. كان الطباعون والمثقفون والمعلمون هم المساعدون الثلاثة للحركة الأشتراكية. كانت تقدم في أي مأوى للعمال أو (بيت الشعب) مكتبة وصحف وصفوف تدريس مسائية وقراءات. اليوم لازالت توجد منابر وكتب وصحف لكن موازين القوى أختلفت وأختلفت معها مراكز القوى. أن الأعتبار والقيمة اللتين أضفيتا فيما مضى الهالة التي نعرفها على الكتب والمعلمين والقراء المتجولين في جمعيات العمال التثقيفية وفي (الجامعات الشعبية) قد تراجعا كثيرا. لعبت الثقافة الشفاهية أيضا دورا كبيرا في الحركة العمالية.. طبعا، الخطب في التجمعات، وخطب المؤتمرات، والندوات.. خطب (جوري)، وخطب لينين، و (بلوم)، كل هؤلاء كانوا يتحدثون دون مساعدة مكبرات الصوت، يرفعون عقيرتهم بالصياح حتى ليكادون يسقطون أعياء، أمام عشرات الآلاف من المستمعين. لكن أذا كان الناطقون بأسم الأشتراكية يعولون كثيرا على منابرهم مثلما يعولون على مطبوعاتهم فأن بلاغتهم الخطابية كانت ممهورة بثقافة كتبية وألفة طويلة مع الكلمة. حتى أرتجالهم للخطب كان يوحي بأنه صادر عن قارئ أو أستاذ. كان العديد منهم رجال برلمان عظماء وخطباء مفوهين ومنابر للدفاع عن عامة الشعب ضمن التقاليد الجمهورية الكلاسيكية ولكن كلماتهم أقيمت أساسا على الكلمة المكتوبة.

كتب (بلانكي) الرجل الذي أوصل أفكار الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ الى كومونة باريس عام ١٨٧١ يقول (كونت الأفكار منذ ١٧٨٩ قوة وخلاص البروليتاريا وهي تدين لها بكل أنتصار حققته). أن المفاهيم المجردة كانت أبجدية التدريب النضالي، ومفهومي البروليتاريا والبرجوازية حالهما حال مفاهيم قوة العمل وفائض القيمة وعلاقات الأنتاج غير قابلة أول الأمر لأن تدرك بالحواس، وفكرة الثورة سواء كانت مشروعا واقعيا أم فكرة طوباوية بوصفها (مايجب أن يكون) هي رفض وتجاوز للمباشر، هي السيطرة على

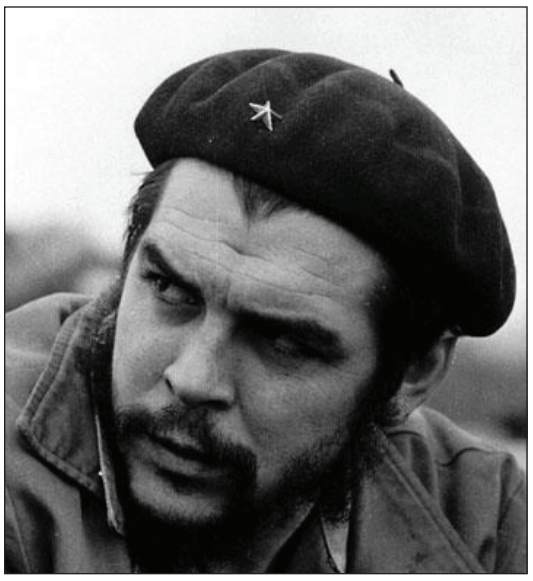

جيفارا

الحاضر. أن الحلم الأشتراكي يتطلب قطيعة داخلية مع (مجرى الحياة اليومية) بوصفه واقعا مفروضا، أنه فعل أيمان يحرك لدى الأنسان قوى التحليل الأدراكي لتحويل التخيلات الأجتماعية المقبولة الى مجردات أولية كما يقوم الأنسان بعملية أستثمارية في ميدان ما فيكون عليه حساب العناصر الأولية. أن الكتابة تجعل الذاكرة الفردية جماعية بنشرها لأفكار الفرد بين الجماعة، والقراءة تجعل الذاكرة الجماعية فردية بفعل القراءة الذي يقوم به كل فرد على حدة. التخاطر بين الذاكرتين يغذي الحس التأريخي بأكتشاف الممكنات ضمن الحاضر، خالقا خلفيات (تجارب ماضية) وأماميات (مشاريع فكرية)، هذا الحضور المشترك لتجربة الماضي مع مشروع المستقبل هو أساس الفكرة الأشتراكية. عندما يكون الجو باردا والليل طويلا وأنا وحيد فأن الذاكرة تعني بالنسبة لي أني لست وحيدا وهي الجليس المناسب (بالقراءة أو التذكر)، أنها ذاكرة أبجدية كما يجدر بهيغل أن يصوغها. لقد وصف، وهو يقارن القيمة التثقيفية التي لاتقدر بثمن لتعلم القراءة والكتابة بحروف اللغة الأبجدية مع الرموز الهيروغلوفية، وصف كيف أن عملية الكتابة الأبجدية تساعد على تحويل أنتباه الذهن من الأفكار المباشرة والأنطباعات الحسية الى (البناء الأكثر أساسية للكلمة ومكوناتها المجردة بطريقة تعطي الأستقرار والأستقلال للحياة الذهنية الداخلية).

كل رجال العمل الثوري الذين ألتقيت بهم، من شي جيفارا الى فام فان دونغ الى كاسترو وحتى الموسوعات التي تمشي على قدمين كالتروتسكيين وغيرهم كانوا قراء ألزاميين منذورين للكتب، وبقدر ماكانوا يحبون الكتب كانوا غير متقبلين للصور لأنها نسخة من الواقع الذي

أن المفاهيم المجردة كانت أبجدية التدريب النضالي، ومفهومي البروليتاريا والبرجوازية حالهما حال مفاهيم قوة العمل وفائض القيمة وعلاقات الأنتاج غير قابلة أول الأمر لأن تدرك بالحواس، وفكرة الثورة سواء كانت مشروعا واقعيا أم فكرة طوباوية بوصفها (مايجب أن يكون) هي رفض وتجاوز للمباشر، هي السيطرة على الحاضر.

هيجو

يريدون تغييره. قد يفسر لنا مؤمن بفكر هيغل هذا الأمر بأن القراءة تؤدي الى أنفصام حاسم والى حدس الحلم بحياة فاضلة. التجريد يشجع الفعل كما يؤدي التذكر الى التجديد. أن أعظم الذين يقومون بالتحديث يدشنون عملهم بقفزة الى الخلف، النهضة تتحقق عبر عودة الى الماضي، أعادة دوران، ومن ثم ثورة. أكتشف كولومبس أمريكا أولا في المكتبة، عبر النظر في نصوص غامضة وفي كتب الوصف الجغرافي. لم يقلب النظام الفرنسي القديم عام ١٧٨٩ المعجبون بجورج واشنطن بل المعجبون بكتابات (ليكروغوس) و (كاتو). نشر (شاتوبريان) و (هيجو) فكر الثورة في الأدب بقراءتهما قبل ذلك الأدب القوطي، وتجاوز نيتشه (جول فيرن) بأطلاعه على كتابات من سبق سقراط ، أما (فرويد) فقد ساعدته في نظريته قراءته لمسرحيات أسخيلوس. أن الشقاء الذي يعانيه الثوريون يكمن في أنهم ورثوا علما أكثر من الذي ورثه غيرهم، فهؤلاء الثوريون الناقلون للذاكرة الجماعية تكون الكلمة المكتوبة حيوية بالنسبة لهم لأنها جزء لايتجزأ من أدواتهم التحليلية. أن ميراث الأفكار غير قابل للنقل تلقائيا أذ توجد بيئات أفضل وبيئات أسوأ لنقل التجريدات تماما كما توجد معادن موصلة للكهرباء أفضل وأخرى أسوأ. يبدأ الفعل الثوري الحقيقي بأحساس من الحنين، بعودة الى النص المنسي، الى مثال مفقود. تشبه الثورة عملية تسليم العصا في سباق البريد. أذا كانت المنشورات هي الوسط بالنسبة للتأريخ كمشهد فأن الأرشيف هو الوسط بالنسبة للتأريخ كممارسة. أن قصة الشيوعية هي حكاية عن الباحثين في الأراشيف والأوراق القديمة. كانت الشيوعية هي أبتكار (كراشوس بابوف) الكتبي وهو المختص بالقانون الأقطاعي وأخذ أفكاره المركزية من (روسو) و (مابلي) و الرقوق القديمة. أزدهرت أفكار الأشتراكية في مخازن الكلمة المكتوبة. قال ميشيليه (لقد ولد تأريخي للثورة الفرنسية في الأراشيف، كنت أكتبها في هذا المستودع المركزي)، ويعني به مكتب التقارير الرسمية. ينسج الرجال طريقهم بين النصوص والنصوص تسلك طريقها بين الرجال، الأساطير تولد الأفعال التي تولد الأساطير وحركة السرد تستحث بمهمازها حركة الشعب. تواريخ روما كان لها تأثيرها على نواب ثورة ١٧٨٩ وعلى كتاب لامارتين (تأريخ الجيروندديين) وعلى كتاب لويس بلانك (تأريخ الثورة الفرنسية) عن ثوار ١٨٤٨، وعلى كتاب هيجو (البؤساء) عن الكومونة وعلى كتابه (٩٣) عن ولادة الجمهورية الثالثة.

أذا كان تأريخ المدرسة دائما محملا بدلالة سياسية فأن التأريخ السياسي قد حمل بدوره تطبيقات مدرسية. أن (المعركة من أجل التعليم) كانت في مقدمة البرنامج اليساري. لقد عرفت الأشتراكية، بوصفها علما لأصول تدريس النظرة العالمية، أن رهانها يكمن في التعليم. فكر كل مناضل ينضم الى تيار أشتراكي أن عليه تعلم العادات الصفية المدرسية، وقد تشكل قانون الشرف الأشتراكي على نموذج الطالب النجيب، لأن الطالب الذي لديه مطاولة لايسأم من الدرس

فرويد

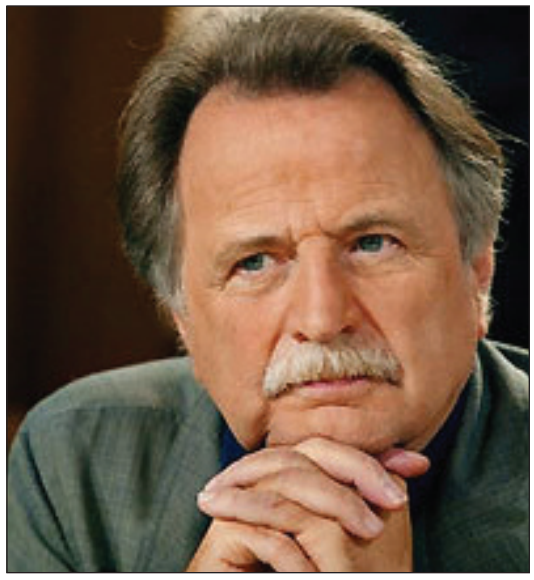

دوبريه

وسينتصر على العدو الطبقي. كان من بين قرارات حكومة ثورة الكومونة الأولى تعيين هيئة تعليم برئاسة (أدوار فيان)، وعندما أجهضت الثورة وجرى نفي المناضلة (لويز ميشيل) الى جزيرة كلدونيا كان أول مافعلته هناك هو أقامة مدرسة لتعليم أطفال أهالي الجزيرة (الكاناك) ولو كانت لديها أمكانية أكبر لأصدرت جريدة. لقد أختار الحزب الشيوعي الفرنسي منذ تأسيسه عام ١٩٢٠ كادره الأعلى من المدرسين والأساتذة. هذا ليس غريبا عن الحركة الأشتراكية ففي عصر الثورة الصناعية الأولى هيأ عمال الطواحين معلميهم وورث عنهم عمال الحديد في الثورة الصناعية الثانية هذه العادة. لقد كشف المعلم آنذاك بتواضعه وأنضباطه الشديد الشبيه بأنضباط جندي من أسبارطة عن مدى عمق جذور التنظيم الأشتراكي في ثقافة عصر التنوير. يقول (بيلوان) وهو أحد مناضلي ذلك العصر في مذكراته (عندما كنا ندس المناشير في صناديق البريد أو من تحت الأبواب كنا نعود الى بيوتنا ماشين مشية مدرس عاد للتو من تدريس طلابه)!

أن أول من نحت تعبير (الطبقة العاملة) كانت هي جريدة الصحفي بوشيه المسماة (لاتيلييه) (تعني المشغل) الصادرة بين عامي ١٨٣٠ و ١٨٤٠ ولطالما كانت الجريدة هي الأهم بنظر أي حزب مناضل، ففي حين أن (تأسيس مدرسة يعني تأسيس حزب) يقول لينين (الجريدة ليست فقط جهازا دعائيا ومحرضا جماعيا بل هي أيضا منظم جماعي) لذلك كان من أول مهمات أي حزب أصدار جريدة. أن بذرتها الواحدة تجمع خواص عدد كبير من البذور، وهكذا كان (جوريز) و (تروتسكي) و (لينين) يؤدون بأنفسهم المهمات نفسها (كتابة، تنضيد، طبع، أرسال). يجري بذر الكلمات المطبوعة ليكون الحصاد مناضلين أشداء، وكانت أدارة الحزب وأدارة الجريدة متزامنتين بحيث لايعقل وجود قائد أمي. تشكل الجريدة بتعبير لينين (جسرا بين نظرية الطليعة وحركة الطبقة العفوية) وبعبير جوريز (هي جسر بين الميتافيزيقيات والعالم)، الجريدة تعيد توحيد المفكر والعامل وتزود الأشتراكية بالصلة اليومية بين المثقف والشعب. كانت المطابع منذ القرن ١٧ وحتى القرن ٢٠ أماكن لقاءات ونقاط أتصال بين أناس من مهن مختلفة وطبقات مختلفة حيث يجرى التبادل الثقافي بينهم لامحالة قبل أن يأتينا هذا الزمن فيتحول السياسيون الى مقتنصي أصوات ونجوم حفلات كوكتيل. لقد كتب الكثير عن أسباب تضاؤل دور الأحزاب الأشتراكية ولكن عاملا واحدا جرى تجاهله على نطاق واسع وهو التحول الذي حدث في العالم من الأنتاج المكتوب (المرن، غير الممركز، والممكن الحصول عليه بمبالغ معقولة) الى الأنتاج السمعي-البصري (التقني المكلف ماليا) بحيث يصعب على ممثلي الطبقات الكادحة الدخول في هذا المجال والمنافسة خصوصا أن أسلوب الأنتاج الجديد يقوم على قوانين السوق الحرة وهو مايتعارض مع المبادئ الأولية للفكر الأشتراكي. أن حرية الطباعة تكمن في أن لها وجها لاصناعيا. هل يصدق أحد اليوم أنه في عام ١٩٠٤ كان (هير) و (بلوم) و (ليفي-برول)، وهم كتبي ومحام وأستاذ، يصدرون يوميا من جريدة (لومانتيه) فجرا طبعة أولى ١٣٨٠٠٠ نسخة مخصصة للمشتركين فقط مقابل ٨٥٠٠٠٠ فرنك عدا الطبعة التي توزع في المكتبات والشارع ؟ لقد تغيرت اليوم طبيعة وسائل الأعلام ولو جاء ممثلو الطبقة العاملة الثلاثة هؤلاء اليوم لما أستطاعوا أصدار جريدة بهذا العدد فالتكاليف أصبحت خارج قدرات مثقفي الكادحين.

لم يسبق أن كانت للأعلام هذه السرعة لكن الفرق أن (الرسالة) قديما كان يمكن أن تبقى على الرف طويلا ولكنها في النهاية تصل. أفضل مثال على عناء وتعب الدعاة قديما هو مثال ماركس أذ أن عمله (رأس المال) تطلب ٣٠ عاما لكي يطبع وقضى مجلده الأول ٢٥ سنة لكي تباع نسخه كلها. كتب ماركس في رسالة شهيرة بعثها عام ١٨٧٢ الى (لو شاتر) وتصدرت الكتاب (أستحسن فكرتك لطبع الكتاب على شكل ملازم فيكون وصولها الى الطبقة العاملة أسرع وبسعر أنسب) فأي ناشر كان سيقبل بأن يجازف بطبع كتاب صعب يحتوي أفكارا عسيرة على الهضم ويأمل أن يربح أو على الأقل أن لايتعرض للخراب؟ هكذا تطلب من الطبقة العاملة زمنا طويلا لتتوصل، عن طريق ماركس، الى معرفة كيفية أستغلال البرجوازية لها. وزع (لو شاتر) مابين عامي ١٨٧٢ و ١٨٧٥ من الملازم ٤٤ ملزمة يتكون كل منها من ٤٠ صفحة. كانت طبعة أول ملزمة جريئة حيث كانت ١٠٠٠٠ نسخة ثمن الواحدة ١٠ سنتات. بيع في اليوم الأول ٢٣٤ نسخة ثم حدثت الكارثة أذ لم تكن تتوفر الأموال للدعاية ولا للدعم من أية منظمة سياسية، ولم تبع النسخ الباقية ألا بعد ٢٥ سنة بمساعدة (حزب العامل) الفرنسي، وفي الحقيقة لقد جرى تجاهل كتاب رأس المال ولم يلق أهتماما حقيقيا ألا بحلول عام ١٨٩٠ أي بعد سبع سنوات من وفاة مؤلفه، من قبل مجاميع المناضلين ورجال العلم وحتى ذلك الوقت كان الكتاب يقرأ بتلخيص دولفيل (موجز دولفيل ١٨٨٣) البالغ ٢٥٣ صفحة أو يقدم في محاضرات. طبع (البيان الشيوعي) باللغة الألمانية في لندن، وحتى عهد الكومونة التي أظهرت قيمته لم يكن يقتنى ألا بدافع الفضول، ولم يظهر في فرنسا ألا عام ١٨٧٢ بعد مضي ٢٤ عاما على كتابته بفضل لورا أبنة ماركس ولم يبدأ يستأثر بالأهتمام ألا عام ١٨٨٥ . طبع ماركس (بؤس الفلسفة) على نفقته في باريس عام ١٨٤٧ ولم تبع منه خلال ستة أشهر ألا ٩٦ نسخة حتى أن الناشر أرسل النسخ الباقية مجانا الى الأصدقاء. لم يذكر ألفريد سودر كلمة واحدة عن ماركس وأنجلز في كتابه (تأريخ الشيوعية) ١٨٤٨ في صفحاته البالغة ٥٣٢ صفحة. لم تحظ طبعة رأس المال الأولى سوى بمراجعتين في صحيفتين مترفعتين وقد أنتقدوا ماركس لأنه لايفعل في الكتاب سوى (الأنتقاد دون تقديم مقترحات ملموسة للمستقبل)، كان التجاهل والأوقات العصيبة التي مر بها ماركس شديدة الى درجة أنه فرح بالمقال الوحيد المرحب بكتابه في صحيفة لندنية عام ١٨٨١ حتى أنه عرضه على زوجته وهي على فراش الموت (ليضيئ لحظاتها الأخيرة) كما كتب هو فيما بعد. أننا ونحن ننظر الى الوراء نتساءل كيف أن كاتبا لكتب صعبة لم يكن يستسغ قراءتها أحد أستطاع أن يعلم العالم كله طوال ١٠٠سنة؟

أنتقلت عصا البريد حول العالم من يد ليد. من جمعية (المتساوين) التي أسسها المختص بالقرون الوسطى (بابوف) الى جمعية (المواطنين الجدد) التي أسسها الكتبي الشاب ماوتسي تونغ. لقد ضلل بوناروتي (١٧٦١-١٨٣٧) مديرية الأمن وظل على قيد الحياة بعد صاحبه بابوف (١٧٦٠-١٧٩٧) أربعين عاما وهو أصغر منه بسنة. كتب بوناروتي قصة تأريخهما المشترك الذي عاشاه عام ١٨٣٧ (مؤامرة بابوف من أجل المساواة) وقد طبع في بروسيل حيث لجأ ماركس بعد طرده من باريس عام ١٨٤٥ ووجد صومعته الأولى عند فيليب جيجو خبير الأرشيف. أن المنفى في بروسيل كان مثل المنضدة الدوارة بعد أنتفاضة ١٨١٥ . هنا قابل بوناروتي مندوبي (المؤتمر) السابقين (بارير) و (فاديه) اللذين نظما فيما بعد (كاربوناري) مهد المنظمات السرية التي نمت تحت ظل ملكية تموز ومن هذه الجمعيات برزت رابطة العدل التي أصبحت الرابطة الشيوعية عام ١٨٤٧ بواسطة ماركس وأنجلز مع مندوبين عن بلانكي (رأس وقلب الحزب البروليتاري في فرنسا) مرت القضية من اليعاقبة الى الأشتراكية عن طريق بلانكي (١٨٠٥-١٨٨١) المحكوم بحوالي ٣٩ سنة سجن وأربعة أحكام بالأعدام. بلانكي هو الذي ناول المشعل الى فيان في الكومونة والذي ناوله بدوره الى (جوريز). أن الماراثون الأولمبي... لمعان الحرف الأكثر أشتعالا من اللهب كان يمر من عداء لعداء دون أن ننسى الحكايات الهامسة في الوديان التي هي عبارة عن مئة عام من القصص تنتقل من الجدات الى الأحفاد. يستذكر الشيوعي الفرنسي القديم جيرار بيلوان قائلا (كانت طفولتي مليئة بالقصص عن مسيرة الفقراء الطويلة عبر العصور). قصص تثيرها كسرة خبز تقع على الأرض أو حساء يتبقى في الصحن. كان يستعصي على الحكومات محو هذه القصص لأنها مثل المياه الجوفية تنساب من جيل لجيل.

كان الفوضويون والأشتراكيون أبنين مختلفي الطباع لعائلة واحدة ولكنهما كليهما كانت حياتهما مليئة بالمنشورات والمقالات والصحف والملاحق الأدبية. لقد تقاسم (أبناء) ماركس وباكونين نفس (الأنجيل) وهو القراءة وحث الآخرين عليها، وحيثما ذهبوا خلفوا وراءهم مكتبة. أستطاع (هوبزبوم) أن يقيس درجة تغلغل الأشتراكية في أوربا بين عامي ١٨٩٠ و ١٩٠٥ بمقارنته لعدد المطبوعات السنوية. كتب هيجو قصيدة يخاطب بها العمال الأميين قائلا:

هل نسيت أن محررك هو الكتاب؟
الكتاب هناك في الأعالي.
أنه يتلألأ لأنه يشع ويضيئ.
أنه يحطم المشنقة والحرب والجوع
أنه يتكلم قائلا لاعبيد ولامنبوذين بعد اليوم.

أن أول من نحت تعبير (الطبقة العاملة) كانت هي جريدة الصحفي بوشيه المسماة (لاتيلييه) (تعني المشغل) الصادرة بين عامي ١٨٣٠ و ١٨٤٠ ولطالما كانت الجريدة هي الأهم بنظر أي حزب مناضل، ففي حين أن (تأسيس مدرسة يعني تأسيس حزب) يقول لينين (الجريدة ليست فقط جهازا دعائيا ومحرضا جماعيا بل هي أيضا منظم جماعي) لذلك كان من أول مهمات أي حزب أصدار جريدة.

ترجمة:عدنان المبارك

في عام ١٩٣٤ أصدر هنري ميللرالقاطن في باريس ، وكان عمره ٤٢ سنة ، كتابه الأول. و ظهر الكتاب في عام ١٩٦١ في بلاد الكاتب - الولايات المتحدة. لغاية اليوم يثير كتابه الذي حقق أكبر المبيعات البلبلة بسبب المتاعب مع الرقابة . وهذه تتعلق بالبورنوغرافيا والفحشاء مما دفعنا الى أن ننفر من الكلام عن الكتاب. وليس في هذا الأمر من جديد. فشأن د. هـ . لورنس كان ميللر منذ أمد بعيد موضع الهزء وأسطورة في الوقت نفسه. فهذا الكاتب المدافع عنه من قبل النقاد و الفنانين ، و المعبود لدى من يحجّون إليه، و المحاكى بحماس من قبل جماعة ال(بيت نك) ، هو فوق كل شيء بطل من الحيز الثقافي - أو هو نذل لدى الذين يرون فيه تهديدا للقانون والنظام. حتى أنه يمكن تسميته بطلا شعبيا - متشردا ، نبّيا ومنفيا ، صبيا من بروكلين يسافر الى باريس حين يعود الجميع الى وطنهم، ممثلا للبوهيمية يتضورجوعا ، لكنه يعرف كيف يجابه الوضع الصعب لفنان يبدع في أميركا ، وفي السنوات المتأخرة صار ذلك الحكيم من (بغ سور Big Sur) .

هكذا أكتب

حوار مع هنري ميللر

القسم الثاني

. هل لديك رأي في هذه القضية؟

× أظن أن الأمر يعتمد على الفنان. لايبدو لي أنه بالأمكان صياغة إستنتاجات عامة في هذه المسألة. في الأخير الكاتب هو إنسان مثل الآخرين تماما وقد يكون مريضا بالأعصاب أو غير مريض، بعبارة أخرى لاتفسرعصبيته وما تتكون منه شخصيته ، كتابته. يخيل إلي أن هذه القضية هي أكثر تعقيدا وأنا لا أحاول حتى الكلام عنها.. قلتُ إن الكاتب هو إنسان يملك مجسّات وإذا كان يعرف حقا من هو ، إنه متواضع يرى نفسه كشخص وُهب قابلية معينة يكون هدفها خدمة الآخرين. ليس هناك من دواع للفخر. فإسمه لا يعني شيئا ، وأناه هي صفر ، إنه مجرد أداة في عملية طويلة.

- متى إكتشفت في نفسك هذه القابلية ؟ ومتى بدأتَ الكتابة ؟

× بدأت كما أظن حين كنت أعمل ل(Western Union). في كل الأحوال عندما جاء كتابي الأول. أثناءها كتبتُ أيضا نصوصا صغيرة ، ولكن الأمر بدأ حقا حين تركت العمل في (ويسترن يونين) أي في عام ١٩٢٤ . آنذاك قررت أن أكون كاتبا و التكرس التام لهذا الشيء.

- أيّ لغاية ظهور (مدار السرطان) كنتَ تكتب طوال عشر سنوات ؟

× بالطبع ، تقريبا. من بين ماكتبته آنذاك روايتان أو ثلاث. أكيد روايتين قبل (مدار السرطان).

– هل يمكنك الكلام عن تلك الفترة ؟

× أنا أتكلم كثيرا عنها في ثلاثية (الصلب الـــوردي)، في أجـزائـهـا (Sexus) و (Plexus) و(Nexus) كما هناك كلام عنها في القسم الأخـير من الجـزء الثالث. وصفتُ جميع مهاناتي في ذلك الزمن – حياتي الفيزيقية ، متاعبي. كنتُ أعمل كالثور أو إذا كان ممكنا القول : كنت أتحرك في الضباب . لم أفقه ما كنت أفعله وما كان هوهدفي. كانت نيتي كتابة رواية ، روايتي الرابعة بينما في الواقع لم أصل الى أي شيء. زوجتي كانت تسألني بعد عودتها الى البيت: (كيف الحال ؟) (لم أسمح لها أبدا بالنظر الى ما في آلة الكتابة). (رائع) كنت أجيب. وتسأل هي: (وأين أنت الآن؟). رغم تخطيطي لكتابة الكثير من الصفحات كتبتُ ثلاثا أو أربعا فقط ، لكني تكلمت كما لو أنني أملك مائة أو مائة وخمسين. رويت ما كنت ما أفعله خالقا رواية بصورة إرتجالية. و كانت هي تستمع وتشجعني. كانت تعلم بأني أكذب. في اليوم التالي عادت وقالت: (كيف هو الجزء الذي رويت لي عنه؟). كما ترى ياسيدي كل شيء كان كذبا ، شيئا أخترعناه نحن الإثنين معا. كان شيئا رائعا حقا ، رائعا ...

- متى إعتبرت أن كل هذه الروايات البيوغرافية هي كلٌ واحدٌ؟

× في عام ١٩٢٧ حين سافرت زوجتي الى أوربا و بقيت وحيدا. كنت أشتغل بصورة غير ثابتة في (قسم الحدائق) في كوينز. في يوم ما بعد الظهر بدل العودة الى البيت قررت أن أضع خطة كتاب حياتي. كتبت طوال الليل. في الصفحات الأربعين أو الخمسين خططت لكل ما كتبته فيما بعد. عملت ملاحظات بإختصار برقي. لكني لم أهمل أيّ شيء. كان عملي كاملا ، من (مدار الجدي) عبر (الصلب الوردي) ، عدا (مدار السرطان) الذي تطرق الى قضايا راهنة حيث رويت عن السنوات السبع التي قضيتها مع هذه المرأة من لحظة التعرف عليها الى السفر الى أوربا. لم أعرف حينها بعد متى السفر. لكني عرفت بأنه سيحصل عاجلا أم آجلا.. والفترة التي سبقت مغادرة أميركا هي إنعطاف في حياتي ككاتب.

- يقول لورنس دارل إن على الكاتب أن يكافح كي يشق طريقه عبر الكتابة وأن يسمع صوته الخاص. أليست هي كلماتك في الحقيقة ؟

× هكذا يبدو لي. في كل الأحـوال حصل هذا الشيء في (مدار السرطان). لغاية ذلك الحين كان ممكنا أن يقال عني بأنني كاتب غير أصيل تماما ، خاضع لشتى التأثيرات ، يأخذ تلاوين ولهجات جميع الكتاب الآخرين الذين أحببتهم في وقت ما. كنت حينها إنسانا أدبيا ببساطة. وأصبحت إنسانا غير أدبـي – تحـررت من الروابط. قررت أن أعمل ما أعرف عمله فقط ، وأعبرعن أناي. ولذلك إستخدمت ضمير المتكلم ، ولـذلك كتبت عن نفسي. قـررت الكتابة من موقع تجربتي الخاصة وما أعرفه وأشعر به. وكان هذا خلاصي.

- وأيّ روايات مبكرة كانت هناك؟

× يبدو لي بأنه كان عليك يا سيدي أن تعثر فيها على آثار معينة للـ(أنا) . لكني على إقتناع عميق بأنه ينبغي تطوير قصة صغيرة ما، عقدة ما ، إلا أنني كنت مشغولا الى درجة أكبر بالشكل والأسلوب للتعبير عنها وأكثر من أهتمامي بالقضايا الأساسية.

- أهذا ما كنت تقصده حين تكلمت عن الموقف (الأدبي) ؟

× نعم . هو شيء مستهلك ولاضـرورة لـه و ينبغي نفيه من النفس. ينبغي قتل الكاتب في النفس. وهو أمر واضح أنه لاينبغي قتل الإنسان نفسه ، فهو (أنا) جوهرية للخالق، و التقنية تسحر، بلاشك ، كل خالق. وهوشيء آخر شخص الكاتب. لقد إكتشفت بأن أحسن تقنية هي إنعدام التقنية. وأنا لن أخضع أبدا لأسلوب ملموس في رؤية الأشياء. أنا أحاول أن أكون مفتوحا ومرناً مستعدا للدوران مع الريح أو اللحاق بتيار الأفكار. إن موقفي وتقنيتي هما أن أكون قدر الإمكان مرنا ويقظا وأقـوم بإستغلال ما أراه صحيحا في تلك اللحظة.

- في (رسـالـة مفـتـوحـة الى السورياليين في العالم كله) تقول: "في أميركا كتبتُ وفق طريقة السوريالية وقبل أن أسمع بهذه الكلمة". ما الذي تفهمه من كلمة السوريالية ؟

× عندما سكنت في باريس إستخدمنا مثل هذه العبارة ، وهي في الأخـير أميركية جدا ، و توضح ذلك بأحسن صورة. كنا نقول : (لنقف في المقدمة!). وهذا يعني القفز في مياه عميقة. الغوص في الـلاوعـي، الخضـوع للـغريزة ، الإنقياد لنبض القلب والدواخل أوشيء آخر يُسَّمى. و لكن هذه صياغة تعود لي ، وهي ليست عقيدة سوريالية حقيقية وهي لا تصمد أمام النقد ، ووفق شخص مثل أندريه بريتون هي صياغة غير مقنعة. إلا أن موقف الفرنسيين بالمعنى العقائدي لايعنيني كثيرا. كل ما كان يعنيني أني إكتشفت أسلوبا آخر في التعبير وهو آخر بصورة ما ومتسام لكنه أسلوب ينبغي الإستفادة منه بطريقة متعقلة جدا. عندما أستخدم السورياليون المعروفون هذه التقنية بأسلوب وجدته مفتعلا ، صارت ، هي غير واضحة وفقدت المعنى. في اللحظة التي يكف فيها الكاتب عن أن يكون مفهوما ، يصبح ضائعا. . .

- ماذا يمكنك قوله عن كتاب الماضي الكبار الذين أعجبت بهم. لقد كتبتَ عن بلزاك و رامبو ولورنس . هل يوجد هناك طراز من الكاتب الذي هو قريب منك بشكل خاص؟

× يصعب علي القول. الكتاب الذين أحبهم هم مختلفون. هم أكثر من كتاب يملكون صفة غامضة هي ميتافيزيقية وخفية occult ، وأنا لاأعرف أيّ صفة عليّ أن أستخدمها – هي شيء يتخطى الأدب. كما ترى يا سيدي الناس تقرأ لقتل الوقت أو لتعرف شيئا. وأنا لم أقرأ أبدا لقتل الوقت ولا لكي أتعلم شيئا. أنا اقرأ كي أتحرر من نفسي وأعيش تجربة الشدة ecstasy . أنا أبحث دائماعن الكاتب الذي يساعدني على الخروج من النفس.

- هل تخبرني بالسبب في أنك لم تنه كتابك عن د. ه. لورنس؟

× السبب بسيط جدا. كلما تعمقت في الكتاب فهمت أقـل، مـا أعمـله. تـورطت في كثير من التناقضات. وأدركت أنني لا أعرف حقا من كان لورنس ، و لم أستطع العثورعلى المكان الذي يمكنني أن أضعه فيه ، كان يصعب مسكه وفي النهاية كنت عاجزا. لم أقدرعلى الفهم. وجدت نفسي في غاب لم أعرف كيف الخـروج منه. ولذلك تركت الأمر.

- ألم تكن هناك مشاكل مع رامبو؟

× هو أمر غريب بأنني لم أجابه مشكلات. بالتأكيد هو شخصية أكثر غموضا لكن في الكتابة عنه لم تكن الأفكارعبئا في حين أن لورنس كان إنسانَ فكرٍ تماما وكتابته إعتمدت على الأفكار.

- لكنك لا تؤيد تماما أفكار لورنس؟

× كلا بأي شكل من الأشكال ، لكني معجب ببحثه وصراعه. لدى لورنس هناك كثير من الأشياء التي لا أتفق معها. من ناحية أخرى هناك أشياء تبدو لي مضحكة وعبثية وغبية وطائشة. أنـا أراه الآن من منظورأفضل ولايبدو أنه شخصية مهمة الى درجة كبيرة. برغم ذلك كان لورنس يعني شيئا بالنسبة لي. كنت تحت تأثيره المطلق.

- لـنـنـتـقـل الآن الى مـسـألـة البورنوغرافيا والفحشاء أوالبذاءة obscenity . آمل بأن لامانع لديك. وفي الأخير أنت تعتبر مرجعية في هذاالميدان. ألم تقل مرة: أنني أؤيد البذاءة لكني ضد البورنوغرافيا؟

× الأمر بسيط للغاية. البذاءة هي شيء حَرْفي في حين أن البورنوغرافيا تعبّر عن الشيء نفسه لكن عن طريق اللف. أنا أجد بأنه ينبغي الجهر بالحقيقة و إظهارها عارية وحتى إذا كانت مصدمة ، وإذا تطلب الحـال أن تكون بدون تقنع. بعبارة أخرى تكون البذاءة عملية تنقية في حين أن البورنوغرافيا لاتفعل شيئا سوى تعتيم الصورة.

- بأيّ معني تكون عملية تنقية؟

× حين تتعرض للتابو يحصل شيء جيد شيء يبث الحياة.

- وهل وجود تابو أمر سيئ على الدوام؟

× ليس لدى الشعوب البدائية. في حياتهم يكون الوعي بالتابو أمرا مبررا، لكنه في حياتنا، في حياة المجتمعات المتمدنة ليس الأمر بهذه الصورة. حينها يصبح التابو شيئا خطرا غير صحي. معلوم أن الشعوب المتمدنة لاتتصرف وفق القوانين الأخلاقية أو أيّ مباديء أخرى. نحن نجاهد من أجل المباديء ونعلنها لكن لا أحد يؤمن بها. لا أحد يتقيد بها و لامكان لها في حياتنا. التابو هو صداع ما بعد الشرب ويمكن القول : نتاج عقل مريض لناس خائفين تنقصهم الجرأة كي يحيوا وهم تحت عباءة الأخلاق والدين يفرضون التابو علينا. برأيي أن العالم المتحضرهو لاديني لدرجة ملحوظة. والدين عند المجتمعات المتحضرة هو دائم زائف ومرائي، إنه شيء مخالف للمقاصد الحقيقية لخالقيه.

- ومع ذلك وصفوك كإنسان متدين؟.

× نعم ، لكني لاأعتنق أيّ دين معيّن. وماذا يعني هذا ؟ يعني ، ببساطة ، عبادة الحياة و أني أقف الى جانبها وليس مع الموت. وترتبط كلمة (الحضارة) في ذهني بالموت. وعندما أستخدم الكلمة أرى الحضارة شيئا ناقصاً فاسداً ومضحكاً. هكذا كانت الحال دائما. أنا لا أؤمن بهذا الشيء الذي نسميه بالعصرالذهبي. العصرالذهبي كان ذهبيا للقلائل ، لحفنة من المختارين في حين الأكثرية كانت تغرق بالبؤس والأحكام المسبقة والجهل والإستغلال. كانت ملجومة من قبل الكنيسة والدولة. مازلتُ نصيرا متحمسا لشبنغلر Spengler ، فكل شيء يمكن العثورعليه عنده. لقد عارض ثقافة الحضارة. فالحضارة هي تصلب شرايين الثقافة.

- يكتب دارل في مقاله عنك والذي نشره قبل أكثر من عشر سنوات في (هوريزون Horrizon) عن البذاءة كتقنية. وأنت يا سيدي هل تراها كذلك ؟

× أظنني أعرف ما قصده. إذا لم أخطيء كان قصده تقنية الصدمة. ربما إستخدمتها بصورة لا واعية ولكن من دون قصد أبدا. كانت بالنسبة لي طبيعية شأن كل شكل آخر من التعبير. كانت شيئا شبيها بالتنفس، وجزءا من إيقاعي كله. هناك لحظات نستخدم فيها البذاءة لكن ليس دائما. أنا لا أجد، وأيّا كانت الإعتبارات ، أن البذاءة شيء هو الأهم. ومع ذلك هي عنصر جوهري جدا ولا يمكن تجاهله أو تجاوزه أو السكوت عنه.

– ولكن من الممكن تضخيمه.

× ممكن ، ولكن حتى إذا حصل فما هو السوء في ذلك؟ ولماذا يقلقنا هذا الامر ؟ أيّ شيء نخشاه ؟ كلام في كلام. لماذا نخاف ؟ من الفكرة ؟ وحتى لو أثارت النفورهل نحن جبناء الى هذه الدرجة؟ ألم نواجه ، بشجاعة، شتى المصائر ، ألم نجد نفوسنا في كثير من المرات نتيجة الحروب والأمراض والأوبئة والجوع ،على حافة الدمار؟ أيّ خطر تأتي به وحتى المبالغة في اللجوء الى البذاءة ؟ أين يكمن الخطر ؟

– قلتَ إن البذاءة هي شيء وديع بالمقارنة مع القهر الذي يتفاقم في الأدب الأمريكي الشائع.

× نعم ، إن كامل هذا الأدب المنحرف – السادي هو مقزّز. لقد قلت ، دوما ، إن كتبي هي سليمة ولأنها مرحة وطبيعية. لم أكتب أبدا عن الأشياء التي لا يفعلها الناس أو التي لايتكلمون عنها. والآن من أين تأتي هذه الأشياء ؟ ليس من الرأس بالطبع. إنها تحيط بنا ونحن نتنفسها كل يوم. ومع ذلك يفضل الناس أن لا يلاحظوها. وماهو الفارق بين الكلمة المطبوعة والاخرى المنطوقة ؟ رغم كل شيء ، وكما تعلم يا سيدي، لم يكن ملزما هذا التابو على الدوام. كانت هناك فترة في الأدب الإنكليزي حين كان مسموحا بكل شيء تقريبا. ولكن منذ عشرين الى ثلاثين سنة صرنا بالغي الحساسية.

– ومع ذلك لدى تشوسير Chauser لاتجد يا سيدي جميع هذه الكلمات التي تظهر عند هنري ميللر.

× لكنك تجد عندي الكثير من الطبيعية المرحة والصحية وحرّية كبيرة للغة أيضا.

– ما رأيك بملاحظة دارل في حديثه ل(باريس ريفيو Paris Review) ؟ قال مامعناه أن من منظور الزمن تبدو له مقاطع من (الربيع الأسود) بالغة البذاءة.

× أحقا؟ إنها تلك المقاطع التي تعجبني أكثر من غيرها. حين قرأتها في المرة الأولى بدت لي مدهشة وما أزال أراها بهذه الصورة. ربما سخر دارل منا.

- لماذا كتبت كثيرا عن الجنس؟ أيّ أهمية له عندك؟ وهل الجنس شيء خاص لديك؟

× يصعب علي الجواب. يبدو لي أني كتبت أيضا عن ذلك الشيء الذي يسميه النقاد المتخذون موقع العداء إزائي بـ(ترهات) أي عن عبث ميتافيزيقي. والفارق هنا هو أنهم لايرون شيئا آخرعدا الجنس. كلا ، أنا لا أعرف كيف أجيب على هذا السؤال. يمكنني القول فقط أن الجنس لعب دورا كبيرا في حياتي. وحياتي الجنسية كانت غنية ولا أجد سببا كان عليّ من أجله أن لا أقول عن الجنس.

- هل كان لذلك علاقة بقطع الصلة بحياتك السابقة في نيويورك؟

× لا أعتقد. مع ذلك فالإنسان الذي قضى بضع سنوات في أميركا وجاء الى فرنسا يعتقد بأن الجنس هناك حاضر في كل مكان. كما لو أنه سيولة تحاصره من كل الجهات. الآن لا أملك شكوكا بأنه في أميركا تقام العلاقات الجنسية القوية أيضا والعميقة والمتنوعة كما هو الحال في مكان آخر لكنها لا تبدو أكيدة للوهلة الأولى. إضافة الى ذلك تلعب المرأة في فرنسا دورا أكبر في حياة الرجل. فموقعها أفضل ، والرجال يحسبون لها حسابا و يتحدثون معها كإنسان وليس كزوجة أوعشيقة أوخادمة. والأكثر من ذلك يحب الفرنسيون رفقة النساء. في إنكلترا وفي أميركا تكون حال الرجال حسنة إذا كانوا في معشررجالي.

– ومع ذلك كانت حياتك في فيلا سيورا Villa Seurat رجالية صرفة.

× هذا حق ، لكن كانت النساء بالقرب دائما. كان لدي أصدقاء كثيرون ، وهي حقيقة أنني عقدت طوال حياتي صداقات كبيرة. وهذا عنصر تال في طالعي وهو أنني رجل تكون قدرَه الصداقاتُ الكبيرة. ومن المحتمل أن هذا أهم عامل في حياتي وقد يكون عليّ أن أقول عنه شيئا. عندما بدأت أكتب أدركت كم أنا مدين للآخرين. الناس ساعدوني طوال الحياة – الأصدقاء بل الغرباء أيضا. لم أحتج الى النقود طالما كان عندي الأصدقاء. وأيّ شيء يحتاجه الإنسان الى السعادة طالما لديه اصدقاء ؟ أنا كنت أملك الكثيرين وكانوا أصدقاء على مدى الحياة. وهم لم يتركوني إلا الآن حين إختطفهم الموت.

- أيّ شيء آخر تكتبه الآن؟

× لا شيء .

- ألا تعمل الآن في الجزء الثاني من (نيكسوس)؟

× آ، نعم . عليّ أن أنهيه ولكني لم أبدأ بعد. حاولت عدة مرات ولكني صرفت النظر عن ذلك.

– قلتَ بأنه عليك أن تنهيه.

× نعم ، بمعنى ما ، عليّ أن أنهي هذا المشروع الذي نشأ في عام ١٩٢٧. و ها أن النهاية تقترب. يبدو لي أن هذا التأخير ينتج ، جزئيا في الأقل ، من حقيقة أني لا أريد أن أقود هذا العمل الى النهاية. حينها سأكون مرغما على التفكير من البداية والأخذ بنهج جديد و العثور ، بشكل ما ، على حقل جديد للعمل ، فأنا لا أريد الكتابة عن تجاربي الشخصية. إن جميع هذه الكتب البيوغرافية كتبتها وليس لأني أعتبر نفسي شخصا مهما بل لأني ، وأكيد أنما سأقوله سيدفعك الى الضحك ، حين بدأتُ كنتُ على يقين بأني سأروي قصةعن المعاناة الأكثر تراجيدية. إلا أنني أدركت أثناء الكتابة بأن معاناتي هي عمل هواة. بالطبع كنت قدعانيت حقاً لكن لا أعتبر ذلك قد كان بهذه الفظاعة. لذلك أسميت الثلاثية بـ(الصلب الـوردي). لقد إكتشفتُ بأن المعاناة كانت بالنسبة لي شيئا طيّبا وعن طريق قبولها ُفتح أمامي الطريق الى حياة مليئة بالبهجة. عندما يكون الإنسان مصلوبا وعندما يموت من أجل نفسه يتفتح قلبه كما الوردة. بالطبع هو لايموت ولا أحد يموت ، ولاوجود للموت ، فالإنسان يغنم نظرة جديدة ويصل الى منطقة جديدة من الوعي ، الى عالم غير معروف. هذه الحال شبيهة تماما بتلك التي لانعرف فيها من أين جئنا كما لا نعرف الى أين نمضي. لكني أؤمن عميقا بأنه يوجد شئ ما ، وكان هناك شيء وأن آخر سيأتي.

- كيف تشعر و أنت كاتب مرغوب بعد هذه السنين من مكابدات الخلق؟

× لاشيء على وجه الخصوص. كل هذا هو شيء غير فعلي. وبأيّ شكل لا يخصني . بل على العكس هو أمرغير لطيف ولايمنحني أيّ متعة. أنا ألاحظ فقط بلبلة أكبر في حياتي ومزيدا من القلق و العبث. ما يهتم به الناس كفّ عن أن يكون موضع إهتمامي. صارهذا الكتاب عندي لا يملك أيّ أهمية. يعتبر الناس بأنه طالما هم مشغولون به فالأكيد أنني أفعل ذلك أيضا. يبدو لهم أنني حين أصبحت في الأخير معترفا به هو أمر بالنسبة لي بالغ الأهمية. و بدوري لدي إنطباع بأني كنت مقبولا قبل ذلك بكثير وفي الأقل من قبل الذين أنا مهتم بهم. وقبول الجمع لا يملك لدي أيّ أهمية، حتى أن هذا في الحقيقة هو أمر مكدّر ، فهو ينتج عن دوافع غير صحيحة إذ يحدث لمجرد الإثارة مما لايعني أبدا بأنه يتم تقديري وفق قيمتي الحقيقية.

- لكن هذا جزء من التقدير الذي كنت تنتظره في وقت ما؟.

× أنا لا أنكر ذلك. لكن ينبغي إدراك أن الإعتراف الحقيقي لايحصل إلا بين الأشخاص المتساوين ولدى الذين يمثلون المستوى نفسه. هذا ما يحسب حسابه فقط ، و مثل هذا الإعتراف أنا أتمتع به منذ أعوام.

- أيّ واحد من كتبك تعتبره الأفضل؟

× (عملاق ماروسي). على الدوام كنت أعتبره الأفضل.

– النقاد ، وفي الأقل معظمهم ، يعتبرون أن الأفضل هو (مدار السرطان).

× حين قرأتُ مرة أخرى (مدار السرطان) إقتنعت بأنه أفضل بكثير مما بدا لي في وقت ما. لقد أعجبني. وجاء هذا مفاجأة لي تماما. فخلال سنوات طويلة لم أعد الى هذا الكتاب. يبدو لي أنه كتاب جيد جدا وله قيمة دائمية. أما (عملاق ماروسي) فيتعامل مع أبعاد أخرى قليلا من شخصيتي. إنه كتاب مليء بالحبور وهذا ما يعجبني فيه إذ هو يعبر عن الفرح و يمنحه أيضا.

– ما مصير (Draco and the Ecliptic) الذي أعلنتَ عنه قبل سنين ؟

× لاشيء يحدث وحتى أني نسيته. برغم أنه توجد دائما فرصة كتابته في يوم جميل ما. كان من المقررأن يكون كتابا صغيرا غير سميك أوضح فيه المقاصد التي إسترشدت بها في كتبي التي أتكلم فيها عن حياتي كلها. بعبارة أخرى أردت أن أنسى ما كتبته وأحاول مرة أخرى أن أوضح ما أردتُ عمله. ربما أوضحُ بهذه الطريقة أهمية كتبي من وجهة نظر المؤلف التي ، كما تعرف يا سيدي ، هي واحدة من وجهات نظر كثيرة ، وحكمه على أهمية كتبه. وهذا حكم يضيع بين كثرة الأصوات الأخرى. وهل هو يعرف جيدا ، كما يخيل إليه ، أعماله ؟ أعتقد أن الجواب هو النفي. بالأحرى أظن أن الكاتب يذكر بالوسيط في عملية تحضير الأرواح . فعندما يخرج من حالة التنويم يكون كله إستغراب مما قيل و حصل.

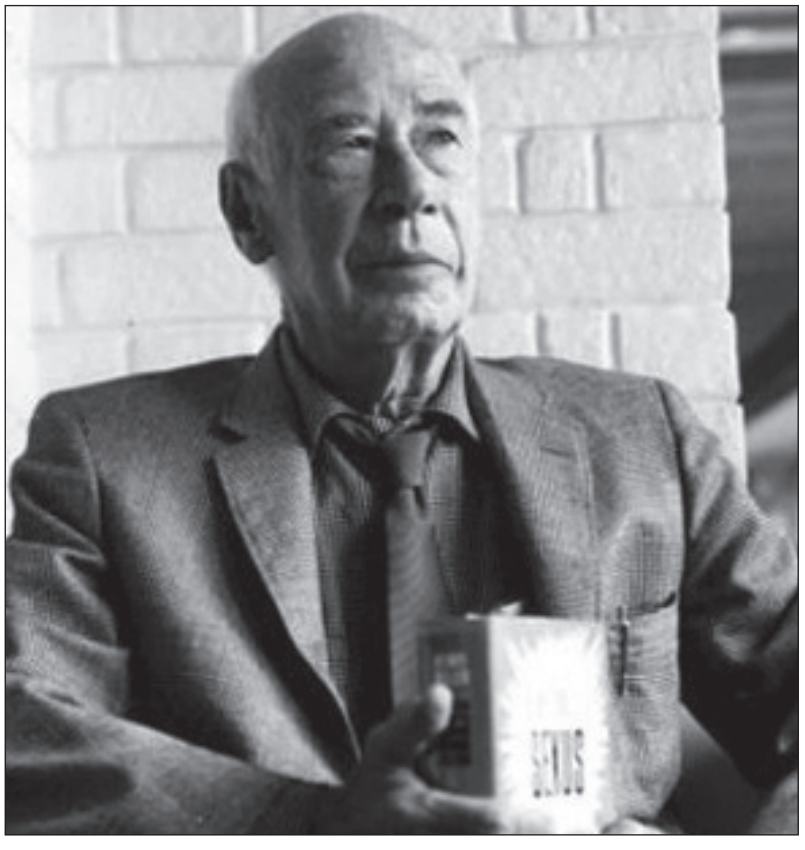

أوراق
العدد (1879) السنة الثامنة - الاحد (15)
آب 2010

الإصبع .. منذ لغة الإشارة إلى شاشة اللّمس

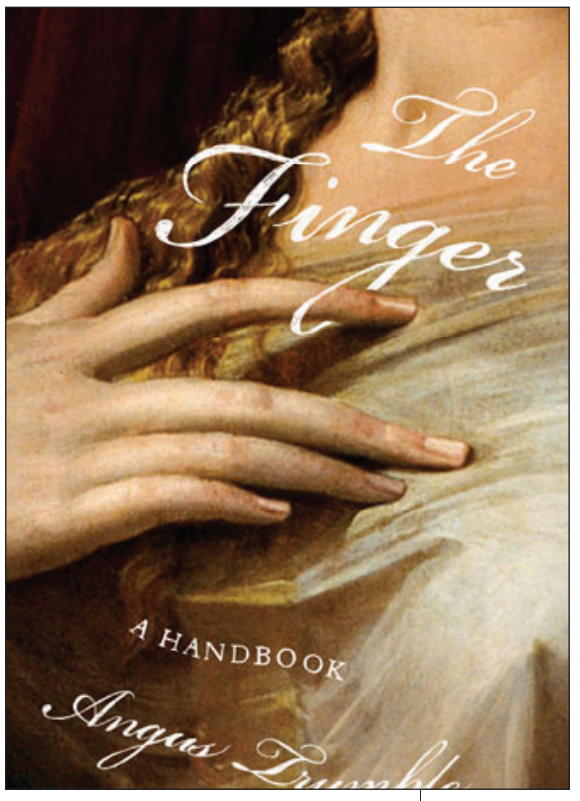

ترجمة / عادل صادق

بالرغم من التحوّل الدوري لنوعنا البشري عن العمل اليدوي، ففي العصر الرقمي digital يجد الإصبع نفسه مهماً كما هي حاله أبداً. فحتى و راحات الأيدي، و المعاصم و السواعد تتراجع إلى حالة عجينية من عدم الاستعمال، فإن دور الإصبع يُقارب ليس عالم الأشياء فقط، بل المعلومات أيضاً، كما يقول ماثيو بيتلز في عرضه هذا. و تتطلب الأدوات التي نصل بواسطتها إلى التعاطي مع العالم قواعدَ أكثر تشذيباً على الدوام لحالات الملاطفة، و المسح، و اللمس؛ و يحقق الإيماء، و هو ربما أقدم شكل من أشكال الاتصال أو التبليغ البشري، نوعاً من التأليه أو التمجيدعن طريق لوحة المفاتيح و شاشة اللمس.

غير أن الأصابع قد فتنتنا على الدوام و صدَّتنا، وفقاً لأغنوس ترَمبل، الذي يُعد كتابه (الأصبع : دفتر The Finger : Handbook) مسرَداً مثيراً ذا أهمية رقمية. و باعتباره أمين اللوحات و النحت في مركز ييل للفن البريطاني، فإنه ينظر بعين مؤرخ الفن لينشيء " كاتدرائية اليد "، واصفاً التشريح اليدوي بتفصيلٍ مبهجٍ باهر. و يؤكد المؤلف أن الأنظمة الفئوية للحساب المستند الى الأصابع التي استخدمها التجّار الرومان يمكن أن تكون مناسبة لانبعاثة في عهد تبدو فيه المباديء الأولية في الاقتصاد قد غابت عن فهمنا. و هو لا يبالي عَرَضاً إلى حد ما بتاريخ لغات الاشارة، التي طوَّرها رهبان القَرون الوسطى الصامتون إضافةً للطرشان من الناس (و هي تحويلة إلى داخل تاريخ برَيل تبدو هنا انسياباً غير مميَّز في هذا الكتاب الحاذق بطريقة مختلفة).

إن تأملات ترَمبل في الأهمية المقدسة و الإبداعية لصورة الإصبع المتخيَّلة ، من ناحية أخرى، دقيقة و باعثة على التفكير. فلقد شكلت الأصابع و أشارت لوقتٍ طويل إلى قوى جوهرية في الطبيعة و الدين : إيماءات اليوغا التي ترى تكراراً في صور الألوهيات البوذية و الهندية؛ إصبع يهود الذي يقتل و يخلق معاً؛ و إبهام قدم يسوع و هو يخربش دروساً غامضة في التراب. و لا يقل عن ذلك فتنةً فحص المؤلف لتاريخ القفازات و الأظافر المصبوغة، و الأيدي في حالة الحرب و في وقت اللعب، و صنعة الإبهام وحدها أيضاً.

لكنه فقط حين يتحول إلى أيدي الفنانين ـ كمواضيع و كأعضاء في صناعة الصورة معاً ـ تجده يوميء إلى اللاذع أو المؤلم. ففي لوحة رامبرانت " تشريح الدكتور نيكوليس بَلب (١٦٣٢)، يبيّن الدكتور أوتار الساعد بينما هو يصنع دائرة بإبهامه و سبّابته ـ و هي إيماءة كنت قد اعتبرتها على الدوام نوعاً من الحرَفية، غير أن ترَمبل (المؤلف) يوضح بأنها الحركة أو الإشارة بالذات التي تجعلها الأوتار المبيّنة ممكنة.

وتصوير رامبرانت النفّاذ لهذا التشريح ـ الآلية الهشة لحرفته ـ هو في قول ترَمبل نظرة عصبية إلى الجذور الجسدية المتلوّية لعملية الخلق الفني. و تلك الأوتار نفسها تلعب أيضاً دوراً بارزاً لا يُنسى في تصوير مايكل أنجلو للخلق على سقف كنيسة سيستين، حيث يلتوي ساعد الرب بينما يجسّر قوسٌ، غير مرئي، الهوة الاشتباكية synaptic بينه و بين أصابع قدمي آدم الممطوطة. و بالنسبة لترَمبل، فإن أصابع الفنان هذه مذكّر غريب بأننا لا نصل أبداً الواحد إلى الآخر من دون جهد. و كما تؤكد شاشاتنا اللمسية اليوم، فإن علينا أن نجازف بتلويث أيدينا، لإقامة هذا الاتصال.

عن / review

45 يوما في سجون طالبان

في كتابه «الأسير.. عندما كنت سجينا لدى طالبان» الصادرحزيران ٢٠١٠، يروى جير فان ديك تفاصيل الشهر ونصف الشهر التي قضاها أسيرا لحركة طالبان. وما يميز تجربة فان ديك السردية هو أنه لم يحاول أن يبدو شجاعا أو يتظاهر بالبطولة أو بالروحانية فهو يصف مشاعره الحقيقية من خوف وحزن وربما خزي في بعض الأحيان، ويعترف في الوقت نفسه بانبهاره بخاطفيه وممارساتهم الإسلامية وأسلوب معيشتهم.

لم تكن تلك هي أفغانستان التي تمنى فان ديك أن يذهب إليها وهو شاب؛ ففي عام ١٩٧٣ عندما كان فان ديك ما زال يدرس في باريس كان قد شاهد ملصقا حول أفغانستان وبعدها كان يتحدث مع أصدقائه فأخبره أحدهم بأنه يرغب في أن يصبح رجل اقتصاد، فيما قال آخر إنه يرغب في العمل كمحام بينما قال ديك إنه يرغب في السفر إلى أفغانستان؛ فقد كان يحلم منذ صغره بالمغامرة والإثارة، وفقا لما قاله ديك نفسه.

في ذلك العام تمكن ديك من زيارة أفغانستان بصحبة أخيه وكانت أفغانستان في ذلك الوقت تماما كما كانوا يصفونها «باريس الشرق» حيث كانت تعج بالمطاعم وصالات القمار والملاهي الليلية.

وفي عام ١٩٨١ سافر إلى باكستان كصحافي يعمل لصالح «نيويورك تايمز» ومنها استقل القطار إلى بيشاور التي تعد مركز المجاهدين، وهناك التقى قادتهم وسافر للمناطق القبلية، ثم انتقل إلى أفغانستان وعاش مع المجاهدين على الحدود. وهناك التقى يونس خالص الذي ساعده على دخول المناطق القبلية، وتسلق فان ديك الجبال، وأقام مع جلال الدين حقاني..

وفي عام ٢٠٠٨ وصل فان ديك إلى المناطق القبلية على الحدود الباكستانية الأفغانية مفتشا في حقيقة التحديات التي تواجهها أميركا هناك، ومتمنيا الالتقاء بكل من جلال الدين حقاني وقلب الدين حكمتيار، وكان يعلم حسب قوله أنه يلعب بالنار وأن تلك التجربة ستكون محفوفة بالمخاطر.

عندما وصل فان ديك إلى المنطقة الحدودية، حاصره عدة رجال مسلحون يرتدون العمامات السوداء واقتادوه إلى زنزانة مظلمة إلى حد انعدام الرؤية وضيقة للغاية حيث لم تكن مساحتها تتجاوز ٣,٥ في ٣,٥ متر، ولم يكن يدخلها الهواء. يقول فان ديك: «عندما اختطفوني سألني زعيمهم بلغة البشتون عن اسمي ثم عن اسم والدي» فأجبت ولكنني بعد ذلك لم أعد أستطيع مواصلة الحوار بلغتهم فقلت لهم: «أنا أميركي» ثم قلت: «أنا ميت». فقال قائدهم: «إننا نعمل على تقييم الموقف، فسنقوم بإجراء تحقيق، فإذا تبين أنك جئت إلى هنا مدعوا فأنت حر في أن تذهب، أما إذا لم تكن مدعوا فسوف نعتبرك جاسوسا». فقلت لقد انتهيت. ونظرت حولي ورأيت الدماء على الجدران والسلاسل على الأرض.

يروي ديك أن السجانين كانوا دائما يؤكدون له ولزملائه المسجونين أنهم لن يقتلوهم لأنهم ضيوفهم رغم أنهم كانوا يهددونه أحيانا بالموت إذا لم يتحول إلى الإسلام. وازداد إحساسه بالقهر عندما أجبره محتجزوه على الصلاة في محاولة لإقناعه بالتحول عن ديانته. ولم يلجأ فان ديك لإعلان إسلامه كذبا لأنه كان يثق في بصيرة خاطفيه الغريزية فكان يخشى أن يقتلوه إذا ما شعروا بأنه يكذب.

ولم يكن يسمح لهم بالخروج خارج تلك الزنزانة الخانقة إلا لعدة دقائق أثناء الليل، وكان كل يوم يمر يعتقد ديك أنه سيكون آخر يوم له في ذلك العالم. وزاد شك ديك في مترجمه وحراسه من وحشة سجنه؛ حيث كانت تساوره الشكوك بأنهم قد وشوا به إلى خاطفيه.

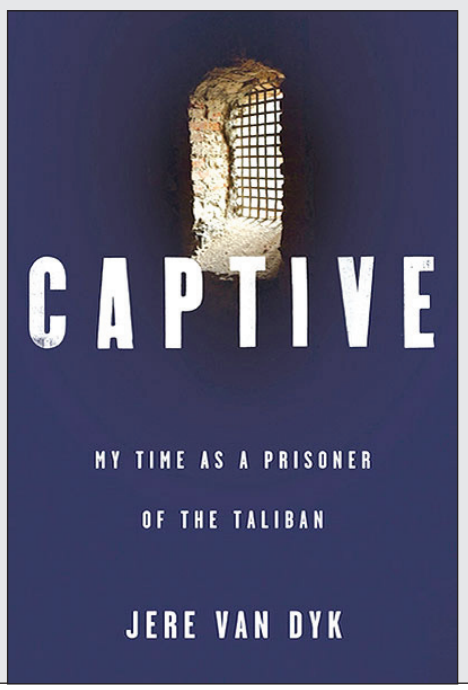

يقول: «لم تعد للعلاقات التي كونتها أي معنى في ذلك المكان حيث إنه عالم من الخيانة والظلمة والغموض والولاءات القبلية والخيانات القبلية أيضا».

في اليوم الرابع لأسره، أخذ ساجنوه مترجمه وحراسه إلى خارج الزنزانة واستجوبوهم ثم جاء قائدهم إلى فان ديك وجلس قبالته. في تلك اللحظات تداعت إلى ذاكرته تفاصيل مقتل دانيال بيرل التي كان قد غطاها وتتبع تفاصيلها، ولكن قائدهم جعله يتحدث أمام كاميرا فيديو وكان ديك يعتقد في ذلك الوقت أن لحظته قد حانت ولكن القائد أخبره أنه سيفاوض من أجل الإفراج عن اثنين من المعتقلين في غوانتانامو أو الحصول على فدية قدرها مليون ونصف المليون دولار.

يعلق ديك على ذلك قائلا: «حتى هذه اللحظة لم يتم الإفراج عن أي معتقلين في مقابل إطلاق سراحي»، كما لا يعرف فان ديك أي شيء عن فدية تم دفعها مقابل خروجه ولا يعرف سر إطلاق خاطفيه سراحه. ويتساءل: هل كانت الاستخبارات الأميركية أو مكتب التحقيقات الفيدرالي أو «السي بي إس»، أو السفارة الأميركية وراء الإفراج عنه، لا أحد يعلم.

وعلى الرغم من أنه لم يتمكن من إتمام قصته الصحافية التي ذهب من أجلها، فإنه عاد بتجربة إنسانية عميقة ستترك بلا شك أثرها بداخله وبداخل كل من قرأ كتابه

عشيقة صدام المزعومة تروي تفاصيل علاقتها في كتاب جديد

ترجمة: عمار كاظم محمد

في احدى ليالي صيف عام ١٩٦٨ ، كانت جارة لامبسوس ، جينا تدعوها بالحاح للمجيء ومرافقتها بينما زوجها يقيم حفل عشاء ،ثم ارتدت لامبسوس البالغة من العمر انذاك ستة عشر عاما فستانها الوردي المتجانس مع شريط شعرها الوردي وحذائها الفضي ووضعت عطرها المفضل ، جي ريفنس وارتدت خلاخيلها الذهبية واساورها ثم قفزت السياج الواطيء الذي يفصل بين العائلتين حاملة طاسة تحتوي على التبولة بين يديها .

كان هناك رجل يرتدي بدلة زرقاء وقميص ابيض قدم نفسه على انه صدام حسين، لقد كان في الحادي والثلاثين من العمر، شخصية مؤثرة في حزب البعث ،تقول لامبسوس الان انها لم تكن تعرف من هو صدام في ذلك الوقت لكنها اندهشت بوسامته على حد قولها في غرفة جلوس جينا وهاروت خياط في بغداد حيث كانت اغنية فرانك سيناترا " غريب في الليل" تنبعث من جهاز التسجيل هذا ما ابتدأت به لامبسوس ادعائها من علاقة امتدت لثلاثة عقود من التعقيدات والخوف لكنها عاطفية ايضا ورومانتيكية مع الديكتاتور السابق للعراق .

تقول ان صدام كان يدعوها شقراء ، في كتابها الجديد " حياتي مع صدام " لامبوس البالغة الان ٥٧ عاما التي تسمي نفسها بالاسم الاول ماريا ،تصف بالتفصيل علاقتها المزعومة مع الديكتاتور والحياة السرية لها وقد اعتبر النقاد الكتاب نوع من الخيال الجامح وكتب باللغة السويدية باسم مستعار لمؤلفة تدعى لينا كاترينا سوانبرغ وتم بيعه في عشرة بلدان اوروبية حتى الان .

حينما تم اجراء لقاء مع لامبسوس او عشيقة صدام كما لقبتها وسائل الاعلام ، كانت لامبسوس تعيش في بلدة صغيرة في الريف السويدي مخفية هويتها لعدة سنوات حتى ظهور الكتاب ، وحينما تم سؤالها عن ماذا تقولين هل يهمك ان تكوني عشيقة صدام ؟ تجعد انفها من المصطلح وقالت انه وصف غير ملائم لعلاقتها صدام الذي اعدم في نهاية عام ٢٠٠٦ مضيفة ، " كلا لقد كنت مختلفة عن حشد العشيقات اللواتي كان يفترض صدام على علاقة بهن ، فهي تقول عن نفسها انها كانت افضل، وفتاة من طبقة راقية فقد كانت تجيد اللغة العربية واليونانية والانكليزية والفرنسية وجاءت من عائلة جيدة وقد احبت خصوصيتها ومواصلة عملها وكانت دائما تمثل نفسها .

تقول " لقد رأني مختلفة عن الاخريات ، فقد كنت احب البساطة ،ولم اكن اريد المال ،فقد كنت سعيدة بهذه الطريقة ،ولم اغير طريقتي مع اي شخص كان " قالت ذلك وهي تشير الى خلفية عائلتها والمكانه التي حصلت عليها ذات مرة في اللجنة الاولمبية الوطنية العراقية .

واذا ما صدق احد ما احاديث لامبسوس فان صدام بالتأكيد يفترض انه كان يحب ذلك النوع من النساء والمواصفات التي تتحلى بها ، لكنها في النهاية ، كانت العشيقة في زعمه التي بقيت اطول فترة . لكن كتاب لامبسوس يتحوي على سؤال بغير جواب، وقصتها التي تأخذ هذا المنحى والدوران الدرامي الذي يضاهي اكثر قصص الجاسوسية اثارة في هوليود بالمقارنة معه.

اذن ربما لايفاجئنا ان هناك البعض من الذين يتصورون ان كل هذه الرواية هي من صنع خيال لامبسوس وصوروها على انها انتهازية وصائدة فرص من خلال البحث عن المال ، والسؤال الذي يطرحه النقاد هو لماذا يقوم شخص مثل لامبسوس التي تعيش بهوية مخفية في السويد خوفا من العواقب بوضع صورة مكبرة لها على غلاف الكتاب اذا كانت تخشى هذا الامر ؟.

عند مقابلتها رفضت لامبسوس هذه الانتقادات رافعة صوتها بغضب وتكلمت عن تقارير اخبارية تقول ان وصف حياتها مع صدام كان ماخوذا من رواية الف ليلة وليلة وهي على اية حال لم تكن قادرة على جلب اي صورة لها مع صدام او تحتفظ باي مخلفات تذكارية اخرى مثل رسائل او ملاحظات لكن البعض من التقارير الاخبارية ذكرت بان صورا للامبسوس قد وجدت حينما داهمت القوات الأمريكية احد اكواخ الحب التابعة لصدام عام ٢٠٠٣ .

وبينما تروي قصتها فقد كانت شابة لطيفة وساذجة من عائلة مسيحية يونانية ثرية تعود في اصلها من لبنان حيث ان ملبسها الانيق ومنظرها البيروتي اعطاها لقب " اميرة بغداد " ووالداها كان يحصل على راتب ممتاز من عمله في صناعة النفط النامية بسرعة في العراق آنذاك وهو الامر الذي حرك العائلة من بيروت الى بغداد حيث ولدت هناك .

الشابة باريزولا او باري كما كان يدعوها الناس كانت تعيش اجواء اديث بياف في اغنيتها" la vie en rose" في نهاية الستينيات في بغداد وتحضر حفلات حدائقها مع المجتمع المخملي وتقضي اياما كسولة في مسبح نادي العلوية الخاص مع عائلتها واصدقائها .

كانت تلك ايام مجدها حينما كانت الحياة سهلة وهي تتجول في شوارع بغداد الهانئة والمليئة بالحياة بعد ذلك قالت ان صدام حسين احاطها بقبضة من حديد مبقيا الرقابة عليها طوال الوقت وفي بعض الاحيان لا يتصل بها لعدة سنوات لكنها كانت تشعر بحضوره دائما وقد عرفت انه عاجلا ام اجلا يتعقب اثرها ، لقد كان صدام رجلا خطرا حيث ينتشر رجاله في كل مكان في العراق فهو لم يكن ليتركها او يدعها تتركه .

قالت انه بعد ان تزوجت من زوجها سيروب وهو رجل ارمني ثري رماه صدام في السجن وجرده من امواله وقد استطاع سيروب الهرب الى بيروت خوفا من غضب الديكتاتور واختفى من العائلة بينما بقيت لامبسوس في بغداد مع ابنتيها ليزا و اليكي ثم قام احد ابناء صدام باغتصاب احدى بناتها حينما بلغت الخامسة عشرة من العمر على حد زعمها .

وعلى الرغم من كل الرعب والخوف والاذلال قالت لامبسوس انها كانت تذهب الى صدام حينما يستدعيها وغالبا على حد قولها انه كانت تاتيها سيارات فخمة الى بيتها وتاخذها الى احد قصوره حيث كانت تقضي عدة ساعات او عدة ايام مع الديكتاتور قائلة انها فكرت انه اذا لم تفعل ما يتمناه فسوف يقوم بقتلها او الانتقام من عائلتها .

على اية حال كانت لامبسوس حينما تتكلم عن الديكتاتور تقدم انطباعا من المشاعر العميقة نحوه كرجل منفصل عن سلوكه المخيف تجاه معارضيه مشيرة الى انه على الرغم من ان سيروب الذي لها تصال معه الان كان زوجها ووالد البنتين لكن الديكتاتور لم يتركها كما فعل زوجها .

في نهاية الكتاب يصبح من الصعب تدريجيا متابعة قصتها ففي اوائل الثمانينيات كما تقول اصبحت حاملا مرة أخرى وسافرت الى اليونان من اجل انجاب ولدها قطنطينيوس حيث رفضت لامبسوس الاجابة حينما سئلت عمن يكون والد ذلك الطفل مضيفة انها استطاعت ابعاد ابنتها ليزا الى خارج العراق وكانت تخطط لأخراج ابنتها الثانية لكن صدام اصبح يزداد هوسا وسيطرة قاتله، كان قد اتصل بها واخبرها انه في الموصل بينما كان وراءها فقط بعدة دقائق وفي احدى الليالي كانت صدام ينظر اليها بعينين متعبين قائلا " انه الان الوقت لأنهاء كل هذا ياشقراء " وحينما سالته لامبسوس كيف؟ اجابها " انا لست متاكدا ، علي ان افكر ، هناك شيء واحد اكيد هو سوف لن يلمسك رجل آخر" عند فكرت لامبسوس مع نفسها ان هذا ربما يعني الحكم عليها بالاعدام وان عليها ان تهرب فورا. طبقا للكتاب انها تركت ابنتها اليكي في بغداد عام ٢٠٠١ محاولة الفرار من البلاد عن طريق دهوك وهي محافظة تقع في الشمال في كردستان العراق وعلى اية حال فقد خانها الدليل وانتهى ذلك بان امسكت بها الاجهزة الامنية المرعبة " المخابرات العراقية " مضيفة انه تم الاحتفاظ بها في سجن تحت الارض لبعض الوقت قبل ان يتم نقلها الى سجن النساء .

في احد الايام جاء اليها مجموعة من الرجال واخذوها من زنزانتها وحينما سألت الى اين تأخذوني ؟ اجابوها : انت ذاهبة الى بغداد عند ذلك قالت لامبسوس انها كانت متأكدة في انها في طريقها الى الاعدام لكن باص السجن توجه بها الى الحدود السورية بدلا من الطريق الذي يقودهم الى العاصمة العراقية وقد انتهى بها المطاف في فندق في عمان في الاردن وقد اكتشفت ان هؤلاء الرجال هم من المعارضة العراقية التابعة لحزب المؤتمر الوطني العراقي حيث قامت الحكومة الامريكية بنقلها بطريقة غير مباشرة خارج البلاد .

بعد بعض التوقفات غير المفسرة في سوريا وبيروت قالت لامبسوس انها طارت بالطائرة الى تايلاند لكي يتم مقابلتها من قبل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (C.I.A) على امل ان تقوم بالمساهمة في اعطاء نظرة حول العراق من الداخل في عهد الديكتاتور مضيفة انها قوبلت ببعض التحقيقات الاولية البديهية مثل : اين يسكن صدام ؟ واين ياكل ؟ واين مكان الحمامات ؟ هل استطاعت ان تميز فروقا بين صدام وشبيهه ؟ .

وقد قوبلت لامبسوس حول علاقتها المزعومة بصدام في محطة اخبار اي بي سي نيوز ذلك اللقاء الذي تم رسم صورة صدام الرجل الذي الذي يثار باستخدام الفياغرا والذي يحب مشاهدة فيلم " العراب " والذي تم بثه قبل اشهر قليلة من بداية الحرب على العراق .

قالت لامبسوس حينها انها لاتشك في كون صدام يشاهد البث ، وطبقا لمقال الواشنطن بوست فان مراسل ومنتج ال اي بي سي نيوز تعقب لامبسوس في بيروت وامضى عدة اشهر للتحقق من ادعاءاتها مع كلا من مسؤولي المخابرات الاوربية بالاضافة الى العراقيين في المعارضة ، ابنة لامبسوس الثانية اليكي استطاعت الهروب في النهاية من العراق وذهبت الى اقربائها في اليونان بينما انتهت لامبسوس في السويد فيما ابنتها الثانية استقرت مع زوجها .

حياتها الان في تلك المنطقة الريفية الهادئة في السويد بعيدة عن ذلك الترف ،لكن لامبسوس تقول بانها راضية ببيئتها البسيطة التي تحيط بها .مضيفة انها تتمشى مع كلبها وتغسل الصحون وتتحادث مع الباعة حينما تتسوق الفواكه والخضار من الساحة الرئيسية في البلدة وتختم حديثا قائلة " ان قلبها ما زال في بغداد فانا اغمض عيني وابكي وافكر في الزهورالتي كانت في حديقتي ورائحة الغارديني التي تنبعث منها".

عن :لوس انجلس تايمز

العدد (1879)السنة الثامنة -الاحد (15)
آب 2010

بغداد/ اوراق

توفي الخميس الماضي الروائي الجزائري الكبير الطاهر وطار المعروف بـ"أب الرواية الجزائرية"، بعد معاناة مع مرض عضال تطلب نقله عدة مرات في رحلات للعلاج بين مستشفيات الجزائر وباريس،. وطار في طليعة الروائيين الجزائرين الذين يكتبون أعمالهم باللغة العربية الفصحى، وعمل الفقيد في الأدب كما في الصحافة واشتغل بالسياسة أيضا في عهد الحزب الواحد، حزب جبهة التحرير الوطني. واشتهر بمجموعة من الروايات التي كتبها في ظل نظام الحزب الواحد، كرواية "اللاز" و"الزلزال"، و"الحوات والقصر"، و"عرس بغل". ومجموعته القصصية "الشهداء يعودون هذا الأسبوع".

رحيل "أب الرواية الجزائرية" الطاهر وطار بعد معاناة مع المرض

وبداية من عام ١٩٩٩، صدر للروائي روايته " الولي الطاهر يعود على مقامه الزكي"، أما في عام ٢٠٠٥ فقد صدر للطاهر وطار روايته "الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء".

يقول عمي الطاهر، أو هكذا يلقب في الجزائر، بـأن "همه الأساسي هو الوصول إلى الحد الأقصى الذي يمكن أن تبلغه البرجوازية في التضحية بصفتها قائدة التغييرات الكبرى في العالم". ويقول إنه"هو في حد ذاته التراث. وبقدر ما يحضره بابلو نيرودا يحضره المتنبي أو الشنفرى". كما يقول:"أنا مشرقي لي طقوسي في كل مجالات الحياة، وأن معتقدات المؤمنين ينبغي أن تحترم

ننشر اخر حوار اجري معه وبثته قناة العربية.

من هو الطاهر وطار؟

الروائي الكبير الطاهر وطار أو عمي طاهر كما يلقي في الجزائر، صاحب رواية زلازل ولاز من مواليد عام ١٩٣٦ بالجزائر، بدايته كانت في الصحافة والنضال الطلابي إبان ثورة الجزائر التحريرية، هو أحد طلبة مدرسة جمعية العلماء المسلمين في الجزائر التي تأسست عام ١٩٥٠ غير أن فكره لم يكن كذلك، حيث تبنى الشيوعية فكراً فكان أحد أبرز المدافعين عن النظام الشيوعي، الطاهر وطار يعتبر رائد الرواية الجزائرية ترجمت أعماله الأدبية إلى العديد من اللغات العالمية، وكانت مواضيع لأطروحات ورسائل جامعية كثيرة. تقلد الروائي بعض المناصب السامية في الدولة لكنه فضل أخيراً التفرغ إلى العمل الثقافي، فأسس جمعية الجاحظية التي قال أنها جاءت في غياب مؤسسات تعنى في الجانب الثقافي الغائب في البلاد. همه الأساسي كما يقول دائماً هو الوصول إلى الحد الأقصى الذي يمكن أن تبلغه البورجوازية في التضحية بصفتها قائدة التغيرات الكبرى في العالم.أحمد حرز الله: إذاً باختصار هذه بعض المحطات في حياة عمي طاهر وطار الروائي المشهور، صاحب رواية اللاظ التي أسست إلى فعل روائي ثقافي في العالم العربي والعالم حيث ترجمت إلى العديد منها اللغات العالمية.

×عمي طاهر قبل أن ندخل طبعاً في تفاصيل التجربة الروائية التي لا زلت تخوضها ولا زلت تؤسس لساحة ثقافية، وربما من خلال مؤسستكم التي أسستموهما جمعية الجاحظية أو مؤسسة الجاحظية،

×عمي طاهر أنت أحد المفجرين لثورة الكتابة التي تزامنت مع من فجروا ثورة الجزائر التحريرية في تلك المرحلة أي في سنوات الخمسينيات كنت تكتب أيضاً؟

الطاهر وطار: فوجئت من شيء أسبوع باكتشاف في الحقيقة كنت أعرفه من مدة ولكن نسيت أنني في ٧ حزيران ١٩٥٦ أي بعد تقريباً ١٥ يوم من تقرير الاتحاد الطلبة الجزائريين في العاصمة هنا ولم يكن سمعنا بهذا بالإضراب العام للطلبة، كنت نشرت في ٥٦.. في ٧ حزيران ٥٦ مقال يعني مقال بتجاوز وأنا لم أبلغ بعد ٢٠ سنة، أنا من مواليد ٣٦ أدعو فيه الطلبة الجزائريين إلى الالتحاق بالثورة، حتى أن المرحوم هيثم السعودي رئيس جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين في تونس يومها جاءني وكان يظن أنني أحد قياديي الثورة التحريرية وكان يتعامل معي على هذه الأساس، ويريد أن يعرف من أين أستمد التعليمات والأخبار وكذا فانكسف لما اكتشف أنني على سليقتي وعلى بديهتي كطالب جزائري شعرت بأن وجودنا في تونس في متابعة يعني التعليم بينما إخواننا يموتون كان عفوي وتلقائي، وعلى فكرة أنا غير مكون سياسياً يعني قبل الثورة، يعني أنا ابن بادية ابن مدارس دينية، وعيي السياسي لم يتشكل بعد، رغم أنني انخرطت قليلاً في الكشافة، ولكن بصراحة كنت على سليقتي وعلى طبيعتي، تبنيت يعني عاطفياً وروحياً ثورة تحريرية، كما تبنيت فيما في ٥٨ بعد سنتين من اندلاعها من المقال هذا الفكر الاشتراكي الثوري يعني.أحمد حرز الله: كنت شيوعياً يقال أنك كنت شيوعياً كنت..الطاهر وطار: في الخمسينات كان الإنسان لا بد شباب يعني مثلنا ٢٢ – ٢٥ سنة لا بد أن يكون له انتماء، إما أن يكون ناصرياً أو قومياً أو بعثياً أو ماركسياً لنينياً أو تروتسكياً أو غير ذلك، وأنا تعرفت على مجموعة من الماركسيين التونسيين في القيادة العليا للحزب الشيوعي التونسي، من خلالهم تعرفت على نظرية، لم أنضم لأي حزب شيوعي بمعنى شيوعي، ولكن أحمل الفكر فكر الطبقة العاملة هكذا نسميه يعني عموماً.

× وهل هذا الفكر أو انشغالات الطبقة العاملة هل نجدها في روايات الطاهر وطار؟

الطاهر وطار: في كل رواياتي في كل أعمالي بداية من اللاظ من القصص القصيرة السباق ونوا وحبة اللوز وغير ذلك، يعني عن سليقة وليس عن إلزام عن التزام تلقائي وعفوي وطبيعي، أؤمن بالعدالة الاجتماعية، أؤمن بملكية وسائل إنتاج من طرف المنتجين، أؤمن بالخير لكل الناس، أما الحزبية فأنا لم أنخرط في أي حزب أنا ابن ثورة تحريرية، ابن جبهة التحرير الوطني من ٥٦ يعني إلى غاية يعني كحزبي إلى غاية ٨٤ ثم انقطعت أنا لست الآن في أي حزب.

× وهذه الأفكار أفكار الاشتراكية أو الأفكار الشيوعية في روايتك هل تأثرت بعد سقوط نظام الاتحاد السوفيتي في التسعينيات في بداية التسعينيات؟تنبأت بسقوط الاتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية جميعها

–الطاهر وطار : سقوط نظام الاتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية والاشتراكيات في العالم الثالث في الجزائر وسوريا ومصر تنبأت بسقوطها وبزيفها في رواية "عرس بغل" وفي كذلك في رواية "تجربة في العشق"، ذلك أن ما ساقته هو التطبيقات البيروقراطية التطبيقات العسكرية رأس مالية الدولة كما هو الشأن في العالم النامي، ولم تسقط يعني النظرية بحد ذاتها كنظرية تدعو إلى الخير، يعني لا يمكن أن تسقط دعوة إلى الخير سواء كانت في الديانات أو في دعوات أو في غير ذلك لا يمكن أن يقال عنها أنها سقطت، التطبيقات البيروقراطية في المنظومة الاشتراكية، مع العلم أن الخلاف بدأ يعني وأن التنبيه إلى هذا السقوط بدأ عند بداية الثورة السوفيتية بدأت مع تروتسكي ولينين، حيث أن تروتسكي كان يدين تطبيقات خاصة والأساليب الستالينية، يعني ليس جديداً يعني سقوط البيروقراطية في الاتحاد السوفيتي السابق ليس اكتشاف جديد بل هو تنبؤ من طرف مناضلين وحصل ما حصل، مع العلم أن المعركة بين القوى الرأسمالية والامبريالية والقوى الثورية في العالم الاشتراكي كانت غير

متكافئة، كانت كل أوروبا رأسمالية ووراءها العالم الثالث، ووراءها حتى حركات التحرير كانت تعمل على تحطيم الاتحاد السوفيتي رغم أنها تكافح بأسلحتها كانت عامل أساسي لسقوط التطبيقات كما أسميها، تطبيقات الاشتراكية أو رأسمالية الدولة كما تمت بالأساليب الستالينية

× في هذا السياق تنبأتم إذاً قبل في روايتك كما قلت تنبأت بسقوط هذا النظام، الآن من خلال تجربتكم الثقافية وروايتكم التي كُتبت ما بعد الزلزال الذي أسس إلى رواية أخرى رواية ما بعد الثورة الجزائرية، هل تنبأتم بفلول هذه الأنظمة الآن أحادية النظام مثلاً؟

-الطاهر وطار: أعتقد أنه في عودة بالمعنى العودة للوراء هذا مستحيل هذه سواء على الطريقة يعني الإسلامية أو الشيوعية أو.. الماضي ماضي انتهى يعني لابد من أسلوب جديد يتماشى ومعطيات العصر ومعطيات الوقت الذي نحن فيه، أنا ديمقراطي وفي رواية اللاظ التي كتبت في الستينات والتي بدأت كما هو في مقدمتها في الخمسينات يعني البطل الأساسي زيدان عندما أراد أن يخلف أن يستخلف نفسه وهو مسافر إلى منطقة أخرى أجرى انتخابات، وتحدث عن الديمقراطية وتحدث عن الديكتاتورية وتحدث عن الأحادية، وربما هذا ما كان ينقص التطبيقات في البلدان الاشتراكية، وهذه الديمقراطية وهذه الفسحة من إثراء القرار وإثراء القيادة وإثراء الأفكار بشيء جديد وبشيء من عند الآخر، لأننا لا يمكن أبداً أن نركز على فكر واحد ولا على ذهن واحد

× ألم تخلق لك نوع من الإشكال في ظل اشتراكية الراحل هواري بومدين؟

-الطاهر وطار: والله يعني نحن نستعمل تجاوزاً اشتراكية بومدين واشتراكية بن ملا واشتراكية حافظ الأسد واشتراكية عبد الناصر هذه تطبيقات رأسمالية، رأسمالية الدولة تستولي على وسائل الإنتاج، تستولي على البنوك تستولي على.. ولكن لا تضعها بين أيدي الشعب وبين أيدي العمال ذلك أنها لا تثق كقوة مستولية على النظام السياسي مستولية على السلطة لا تثق في قواعدها، يضاف إلى هذا أنك لا تجد في قيادة جزائرية أو قيادة سورية أو قيادة مصرية أو قيادة ليبية لا تجد الإجماع على التوجه هذا، وأنا عندما أقول هذا الكلام قلته لبومدين عندما كنا نناقش الثورة الزراعية أو الإصلاح الزراعي كما كنا نسميه نحن، قلت له أنك تصعد على سلم كل درجاته مسوسة ويمكن أن تسقط بك في أي لحظة، وهذا الكلام قلته يعني ومر على يعني في التلفزة على الماشي مباشرة كما يقول، هذا الشيء معروف إنما تجاوزاً الآن أقول والله اشتراكية فلان واشتراكية فلان، هناك اشتراكية واحدة أن تضع وسائل الإنتاج بين أيدي الطبقة العاملة، وأن تضع يعني أساليب مرنة حزبية ونقابية للسهر على هذه الطريقة

×حين قلت للرئيس الراحل هواري بومدين أنك تصعد على سلم مفخخ ماذا أجابك؟

-الطاهر وطار: احمر وجهه خاصة بعد أن تبعني اثنان أو ثلاثة وكلهم يقولون كما قال السي طاهر وطار كما قال السي طاهر وطار ورفع الجلسة، رفعها قال الجلسة مرفوعة، وعندما شاهد الناس في الليل يعني الحادثة تلفن لي أكثر من واحد يسألون هل أنت بخير بشراك؟ أقول بس الحمد لله يعني الأمور الطيبة، كانوا يخافون علي، ولكن هواري بومدين فهم الرسالة، أنا قلت هذا الكلام لأعارض به الذين كانوا يعارضون الإصلاح الزراعي وهم أعضاء مجلس الثورة وهم قادة، لم يستوعب أبو مدين في لحظتها تدخلي، ولكن فيما بعد استوعبوا

ومرروه في نشرة الأخبار وركزوا عليه.أحمد حرز الله: فاصل قصير مشاهدينا الكرام ونعود بعده لمتابعة هذا اللقاء الشيق مع الروائي الكبير الطاهر وطار فابقوا معنا

×بعد رواية اللاظ جاءت التي كنت فيها ديمقراطياً أو أشرت إلى الديمقراطية التي يجب أن تكون، جاءت رواية الزلزال التي أحدثت زلزالاً كما يقول النقاد في الرواية الجزائرية والمغاربية أو العربية، ماذا حملت زلزال؟ كيف زلزت؟

"الزلزال" أحدثت زلزالاً في فن الرواية

-الطاهر وطار: رواية زلزال كما وضع لها جابر عصفور الدكتور جابر عصفور الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة في مصر وضع مقدمة لها للترجمة الإنجليزية هي أول رواية عرجت للصدام بين الإسلاميين وغير الإسلاميين، وهي أول رواية عالجت أوضاع البلدان ما بعد الاستعمار مباشرة، وهي تدرس هذه الرواية الآن في كثير من جامعات الدنيا كأدب ما بعد الاستعمار، وفيها تجربة ربما مارسها غيري دون أن نلتقي، ربما صنع الله إبراهيم أيضاً مارس نفس التقنية وهي أن تجعل المكان بطلاً، فكنت قسنطينة بواديها بأنفاقها بأزقتها بجدرانها المعوجة كانت هي البطلة، كما كان السد العالي في مصر بطل لرواية نجمة أغسطس ولا أدري من كاتبها الأول، يعني ولكن كشباب رواية كمان جئنا ما بعد يعني اتفاق الحكيم ونجيب محفوظ وحنا مينا حتى وغيرهم، كنا نشعر بالانزعاج من الأشكال الكلاسيكية للرواية الأشكال الجاهزة، الأشكال كما يعني كتبها الأولون يعني بنزاك وغيرهم، فرحنا نخرج من القوالب، وكذلك فعلت في رواية الحواة والقصة التي جاءت بعدها إلى غير ذلك.

×بالعودة إلى رواية الزلزال التي أشرنا إليها أحدثت زلزالاً في الرواية المغاربية أو العربية، ذكرت قبل قليل أنكم أشرتم إلى الإسلاميين أو صراع أو دخول الإسلاميين نتحدث عن هذه النقطة، كيف عالجت هذه المسألة مسألة ظهور الإسلاميين على الساحة الجزائرية الآن؟

-الطاهر وطار: هناك ملاحظة استقرائية إذا صح التعبير، هي أن العنف ظهر في ثلاثة بلدان عرفت تطبيقات ما يسمى بالاشتراكية أو عرفت القطاع العمومي عرفت الإصلاح الزراعي، وعرفت الطب المجاني، وعرفت التعليم المجاني، ثم عرفت الخروج والعودة إلى الوراء وهي سوريا فمصر فالجزائر، مما يدل على أن هناك أيضاً عامل اجتماعي واقتصادي دخل في إذكاء الحركة العنفية الحركة الإسلامية العنيفة

×: يعني كيف يعني أن هذه سبب للنهج أو النظام الاشتراكي؟

-الطاهر وطار: الناس كانوا مطمئنين على مصيرهم، الفلاحين كانوا في أراضي ملك عام أو مشاعة هي الإصلاح الزراعي والثورة الزراعية التعاونيات والسير ذاتي، التلاميذ كانوا يتعلمون مجاناً، العلاج كان مجاناً، كان الناس مطمئنون إلى مستقبلهم، وفجأة شاع الحديث وتم يعني فعلاً استعادة الأراضي، تم التخلي عن الكثير من المكاسب وهذا دفع بكثير من الشباب الريفيين إلى الالتحاق بالحركة المسلحة.

× وهل أشرت مثلاً هذا السبب الذي قلتم أنه استقراء.

-الطاهر وطار: أحد الأسباب..أحمد حرز الله: أحد الأسباب، هل أشرتم إليه في روايتكم الولي طاهر؟الطاهر وطار: نعم ليس في رواية الولي طاهر ولكن في رواية العشق والموت في زمن الحراشي، وفي رواية تجربة في العشق هذه واردة، وكذلك في شمعة والدهليز، أنا متابع بدقة لكل التحركات الاجتماعية إذا صح التعبير

× بعد روايتك الزلزال التي أحدثت زلزالاً في فن الرواية، كتبت روايات أخر، جاءت الأزمة الجزائرية أي سنوات ٩٠ فكتبت روايات قال عنها بعض النقاد أنها تحوّل جذري من الطاهر وطار الشيوعي إلى طاهر وطار الإسلامي ومنها رواية الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء وروايات سابقة، ما تعليقك عن هذا الموضوع؟ هل تحولت من روائي شيوعي إلى روائي إسلامي؟

أنا أفضل آراء النقاد ولا أفضل آراء زملائي الروائيين

-الطاهر وطار: هي ثلاثة روايات "الشمعة والدهليز"، "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" و"الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء" هذه ثلاث أعمال وهي قصيرة تعالج الظاهرة الإسلامية، الشمعة والدهليز قال الإسلام هو الحل، وطرح يعني قضية أي إسلام، أي حركة أي اتجاه ثم التصادم بين الشاعر وبين القيادات الإسلامية، في الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي أطرح قضية جماعة الهجرة والتكفير، قال نهاجر المدن نهاجر هذه الأساليب نهاجر كذا نعود إلى ما كان عليه الأولون، فلا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلُح به أو لها الخ.. وفي الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء هناك إقرار بالهزيمة وهذا ما حصل لكثير من المناطق من هزيمة الحركات الإسلامية المسلحة، ودعوة قال اللهم أصلح هذه الأمة بما تراه، فكان يعني ضياع بترول وأنفاق البترول من الآبار وتحوله إلى ماء زلال يدعو الناس إلى العمل إلى نزع اللباس الأبيض هذا وارتداء اللباس الأزرق لباس العمل، والتشمير على الزنود والعمل في الأرض والبداية من جديد إلى آخره، ليس هناك يعني لا مهاجمة أو شتم للإسلام والإسلاميين، ولا أيضاً لا أقول تمجيد ولكن تبشير، هناك يعني نظرة ورؤية موضوعية تقول ما لهؤلاء الناس وما عليهم بحيادية وبموضوعية تامة، والناس هنا انساقوا للقذف وللشتائم وللرفض الأعمى لكل رأي مخالف: ربما هذه الرواية أو الروايات الثلاثة التي ذكرتها التي قلت أنك سيّرت فيها المرحلة الإسلامية التي عاشتها الجزائر هي التي دفعت ببعض الروائيين الجزائريين وأخص وأقول هنا صراحة الروائي وسيم الأعرج يتهمك بالإرهابي، ويقول أنك قاتل، كل بطلاتك في.. أو أبطال روايتك قمت بقتلهم، هل عمي الطاهر هذا الإنسان الفنان إرهابي فعلاً في رواياته؟

-الطاهر وطار: والله شوف أنا أفضل آراء النقاد ولا أفضل آراء زملائي الروائيين، ذلك أني أنا شخصياً لا أكون موضوعياً إطلاقاً عندما أقرأ روايات غيري، فأنا أتصور أريد أن أقرأ وكمان أنا الكاتب فحينئذ أرجوك نتجاوز رأي الأعرج الوسيني وزملائي الروائيين، ونطرح إذا كان هناك آراء للنقاد مثل صلاح فضل مثل كثيرين يعني أفضل من الدخول في متاهات الآراء الذاتية.

أوراق
العدد (1879) السنة الثامنة -الاحد (15)
آب 2010

خير جليس...

تتناول هذه الصفحات أحدث الإصدارات العربية والأجنبية يقدمها مازن لطيف.

معجم رمضان

يشير المؤلف فؤاد مرسي في مقدمة الكتاب إلى أنه ثمة إشكالية تعترض مثل تلك الأعمال، وهي منهج ترتيب وتصنيف مواده المعجمية، فهل يرتبها أبجديا؟ أو من حيث الموضوع؟ ويخلص مرسي إلى استخدام المنهجين، لترتيب الموضوعات أبجديا، والفروع داخلها، بحسب الترتيب الزمني أو الأبجدي.

ويتطرق مرسي في فصول كتابه إلى الموضوعات التالية: فقه شهر رمضان.. في القرآن والأحاديث، عبادات شهر رمضان.. رؤية الهلال، السحور، صلاة التراويح، الاعتكاف، زكاة الفطر، أحداث وتواريخ.. توقيت فرض الصيام، أجندة الشهر، آداب وفنون.. الأغاني الشعبية، أغاني التوحيش، الشهر في السينما، الشهر في الأمثال الشعبية، الشهر في ذاكرة الأدباء، الشهر في كتب الرحلات، المسحراتي، أطعمة رمضانية..

البلح والتمر، الكنافة، النقل، الكعك، أعمال البر في رمضان.. موائد الأطعمة، الوقف، أيام مخصوصة.. يوم الشك، ليلة القدر، الجمعة اليتيمة، يوم الوقفة، مظاهر احتفالية ومعان ومفاهيم حول الشهر الكريم.

وفي مضمون وسياق موضوع «أجندة شهر رمضان(، يرصد مرسي دقائق وتفاصيل كل يوم في هذا الشهر، ساردا أهم الأحداث:» ففي ١ رمضان (عام ١٢٥٦م تعرض المسجد النبوي لحريق)، وفى ٢ رمضان (عام ٧٣٢م احتدام معركة بلاط الشهداء في فرنسا بين المسلمين وشارل مارتل). وفى ٣ رمضان (عام٦٣٢م توفيت السيدة فاطمة بنت الرسول-صلع)، وفى ٤ رمضان (عام ١٥٢١م، نجح السلطان العثماني «القانوني» في فتح مدينة بلغراد)، وفى ٥ رمضان (عام ٧٣١م مولد «عبدالرحمن الداخل أو صقر قريش).. وهكذا يتابع المؤلف تدوين وإدراج جميع الأحداث وتواريخها، ليصل حتى اليوم الثلاثين من شهر رمضان.

وتحت عنوان «من الأغاني الشعبية في رمضانس، يسجل المؤلف العديد منها، مثل تلك المقطوعة حول استقبال الشهر: (رمضان يا منور نورت وادينا/ يا أحلى من السكر حلوة ليالينا/ نلعب ونتمخطر ونقول أغانينا/ حالو يا حالو...).ويدرج مرسي أيضاً إحدى الأغاني التي اشتهرت في الإذاعة المصرية: (رمضان جانا.. ورحنا به/ بعد غيابه.. وبقاله زمان/ غنوا معانا.. شهر بطوله/ هنوا وقولوا.. أهلا رمضان).ويقدم المؤلف واحدة من أغاني المسحراتي:

(يا عباد الله وحدوا الله/ قوم وحد ربك واستغفر/ وقت الاستغفار والطلب من الله/ واتسحر علشان ما تجعش/ اصحي يا نايم وحد الدايم).وكذلك من أغاني الوداع: (تم البدر بدري/ والأيام بتجرى/ والله لسه بدري يا شهر الصيام).

ثم ينتقل مرسي إلى أغاني التوحش:(لا أوحش الله منك يا شهر الصيام/ لا أوحش الله منك يا شهر القيام/ لا أوحش الله منك يا شهر الولائم/ لا أوحش الله منك يا شهر العزائم..).

ويسرد المؤلف في كتابه بعض الأفلام السينمائية التي دارت الأحداث فيها خلال هذا الشهر الكريم، مثل: (العزيمة)- إخراج كمال سليم ١٩٣٩م، (قلبي على ولدي)- إخراج بركات١٩٥٠م، (ضربة معلم)- إخراج عاطف سالم١٩٨٧م.

وأما عن شهر رمضان في الأمثال الشعبية، فيسرد منها الكاتب: (اتصدقوا ترزقوا ، اللي يخرج منه زكة عنه ، اللي يكدب نهار الوقفة، يسود وشه نهار العيد ، اللي ما يصوم ويصلى، رزقه يولى ، صامت يوم واتمخطرت للعيد..).

ويتحول مرسي بعدها لإبراز طبيعة رصد وعكس وتضمين الشعر العربي لشهر رمضان، حيث يدرج مجموعة من الأمثلة، وفي مقدمها: قول الشاعر الأندلسي دراج القسطلى (٩٥٨-١٠٣٠م) في وداع شهر شعبان:

فلئن غنمت هناك أمثال الدمى فهنا بيوت المسك فاغنم وانتهب تحفا
لشعبان جلا لك وجهه عوضا من الورد الذي أهدى رجب فأقبل
هديته فقد وافى بها قدرا إلى أمد الصيام إذا وجب

كما يقول الشاعر مصطفى صادق الرافعي (١٨٨٨١-١٩٣٧م):

فديتك زائرا في كل عام تحيا بالسلامة والسلام
وتقبل كالغمام بفيض حينا ويبقى بعده أثر الغمام

وكم من الناس كلف مشوق إليك وكم شجي مستهام

ويقول الشاعر أحمد شوقي (١٨٦٨- ١٩٣٢م):

يا مديم الصوم في الشهر الكريم صم عن الغيبة يوما والنميمة وصل صلاة من يرجو ويخشى وقبل الصوم صم عن كل فحشاوأيضاً يقول الشاعر معروف الرصافي (١٨٧٧- ١٩٤٥م):

ولو أنى استطع صيام دهري لصمت فكان ديني الصيام

ولكنني لا أصوم صيام قوم تكاثر في فطورهم الطعام وعن شهر رمضان في ذاكرة الأدباء والكتاب المحدثين، يعرفنا المؤلف على أن هذا الموضوع رصدته بعض الأعمال الروائية، مثل (الشمندورة)ل محمد خليل قاسم) و(خان الخليلي) ل نجيب محفوظ...وغيرها، كما سرد طه حسين بعضا من ذكرياته. وكم هي شيقة، وربما مثيرة أيضا، تلك الصفحات التي تناولت وصف شهر رمضان في كتابات الرحالة الأجانب والمستشرقين، ومنهم: الرحالة الإيطالي برنار دي بريد بناخ، الرحالة الفرنسي جان باليرن، الرحالة الفرنسي فيلامون، الرحالة التركي أوليا جلبي... وغيرهم.

وقد وصفوا الشوارع وأحوال الناس في نهارات الشهر، وحالة الأسواق، وسردوا بعض التقاليد المتبعة، ووصفوا بعض الأطعمة المميزة للشهر، وكذا شكل الاحتفال بمقدم العيد... الخ.

كما يشير المؤلف إلى أنه لشهر رمضان بعض الأطعمة المميزة، ويتوقف مع «التمر» لتقديم شرح موسع حول ذلك.

الكتاب: معجم رمضان
المؤلف: فؤاد مرسي
الناشر: الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠١٠

ناشيونال جيوجرافيك" تصدر باللغة العربية

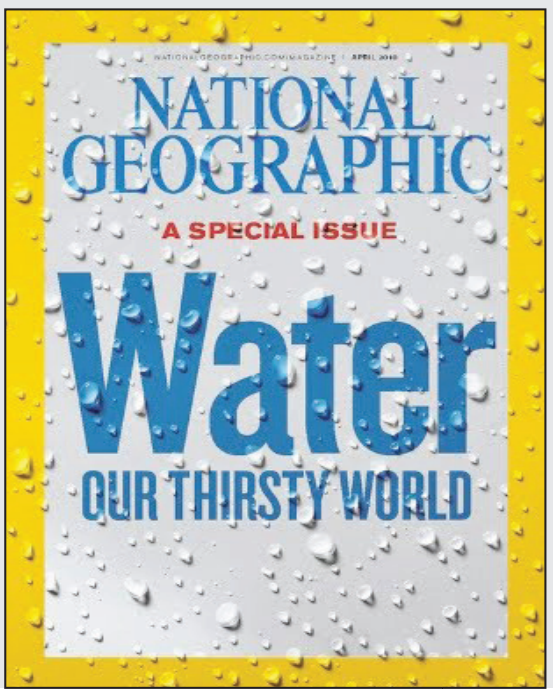

توصلت شركة أبوظبي للإعلام مؤخرا لاتفاق شراكة مع الجمعية الجغرافية الوطنية الأمريكية "ناشيونال جيوجرافيك سوسيتي" وذلك بهدف إصدار النسخة الأولى من مجلة "ناشيونال جيوجرافيك" باللغة العربية.

ووفقاً لصحيفة "الشروق" المصرية تأتي الطبعة العربية من مجلة "ناشيونال جيوجرافيك" لتكون الطبعة الثالثة والثلاثين التي تصدرها المجلة بلغات متعددة، حيث تنشر المجلة باللغة الإنجليزية منذ عام ١٨٨٨ وهي المجلة الرسمية لجمعية ناشيونال جيوجرافيك.

وسوف تتاح النسخة العربية من المجلة الشهيرة والتي سوف تعنون بـ "ناشيونال جيوجرافيك العربية" في كل من البحرين ومصر والأردن والكويت ولبنان وعمان وقطر والسعودية، والإمارات واليمن وسوريا والسودان وليبيا والمغرب وتونس، ومن المقرر أن تصدر النسخة الأولى منها في أكشاك الصحف اعتباراً من الأول من تشرين أول المقبل، على أن يتم إصدارها شهريا.

ومن خلال مجلة "ناشيونال جيوجرافيك العربية" سوف يتمكن القارئ العربي من الإطلاع على المقالات التي حازت على جوائز عديدة والمختصة في الجوانب الجغرافية وعلم الآثار والعلوم الطبيعية، كما ستتاح له فرصة الإطلاع على الصور الإبداعية التي تقدمها المجلة لرصد روائع الطبيعة في كافة أرجاء العالم.

وإلى جانب المحتوى العالمي الذي سوف تضمه النسخة العربية من المجلة، سيتم العمل على تحرير أكثر من ٢٠٪ من النسخة العربية محلياً بغرض تقديم مقالات فريدة تستحوذ على اهتمام القراء في المنطقة.

إيزابيل الليندي تروي عن ثورة العبيد بهايتي

صدر حديثاً للروائية التشيلية إيزابيل الليندي صاحبة الروايات الأكثر مبيعاً في العالم رواية جديدة بعنوان "جزيرة تحت البحر" وهي الرواية الأولى لها خلال أربع سنوات وبالتحديد منذ ٢٠٠٦، وتتناول فيها اضطهاد العبيد خلال القرن التاسع عشر في "هايتي".

تتناول المؤلفة في روايتها قصة انتفاضة العبيد التي وقعت في "هايتي" قبل ٢٠٠ عام من الأن والتي قادت إلي أول جمهورية مستقلة للسود في العالم، وتتناول قصة فتاة ولدت في زمن العبودية بمستعمرة ساينت دومينجو كما كان يدعوها الإستعمار الفرنسي أو "هايتي" كما تدعى الأن.

و"تيتي" بطلة القصة هي فتاة مستعبدة تبدأ حكايتها وهي في التاسعة من عمرها حيث يتم بيعها إلي صاحب مزرعة من أصل فرنسي، حيث تعكف الفتاة على رعاية زوجته المريضة النفسية وأبنه، إضافة إلى إرضاء رغبات سيدها والتي تجب منه أطفالاً بعد ذلك.

وحسبما ذكرت المؤلفة كانت الحياة في المزرعة مرّوعة، ثم حدثت ثورة العبيد

والذين عانوا من الكثير من العنف خلال فترة استعبادهم، وكان على الفتاة أن تاختار بين الذهاب مع حبيبها ونيل حريتها وبين البقاء مع سيدها وأطفالها كعبدة أختارت الخيار الثاني مضحية بحبها.

وعقب الثورة يتوجه الجميع إلى نيو أورلينز حيث الحياة هناك مختلفة، فكانت هناك طبقة من الناس الاحرار ذو بشرة ملونة والذين يملكون امكانيات اقتصادية جيدة وتعليم جيد حيث كانوا يرسلون الاولاد الي فرنسا ليتلقوا تعليمهم ويعودوا محترفين، اما الفتيات فكن يذهبن الي مدرسة اورسولاين، كذلك كانت تجارة العبيد في نيو أورلينز قد الغيت تماماً وكان العبيد أغنياء، وبالتالي تم معاملة القادمين الجدد معاملة جيدة، افضل بكثير من هاييتي حيث كانوا يتخلصون منهم بمجرد انتهاء فترة خدمتهم.

من إصدارات المدى

أضواء على الحياة المسرحية في العراق

قراءة / عامر صباح المرزوك

ضمن منشورات دار المدى للثقافة والنشر بدمشق صدر مؤخرا للباحث الأكاديمي والفنان سامي عبد الحميد كتابه (أضواء على الحياة المسرحية في العراق : آراء نقدية وتحليلية للظواهر المسرحية خلال القرن العشرين).

أراد (عبد الحميد) من كتابه هذا أن يجمع آراءه النقدية وتحليلاته وتجربته في المسرح العربي والعراقي التي تبلورت عبر أكثر من خمسين عاما ، وبين في مقدمة الكتاب ان هذه الآراء قابلة للنقاش والتصحيح وهذا ما يدلنا على سعة صدر الباحث كونه رجلا أكاديميا يعي معنى ما يقول وما يكتب .

انطلق المؤلف من تأصيل هوية المسرح العراقي في خمسة دراسات احتواها الفصل الأول للكتاب ، وهي التي تمثل البدايات الثقافية والمسرحية في العراق وارتباطها بمعهد الفنون الجميلة في أربعينيات القرن المنصرم ، ويتسلسل المؤلف في ذكر أهم التواريخ والوقوف عند أهم رجالات المسرح الذين زرعوا بذرة المسرح العراقي . ويمكن تحقيق هوية وطنية للمسرح في العراق عن طريق إثبات السمات الخاصة في النص وفي العرض وفي المكان وفي التعليم ، وعندما تتناول النصوص واقع المجتمع بصدق أو تتناول حقبة تاريخية أو شخصية معروفة ومشهورة . إما في الفصل الثاني فقد تناول التوجهات الجديدة في المسرح العراقي ابتداءً من (طريقة ستانسلافسكي) التي لم يتعرف عليها المسرحيون العراقيون الا في منتصف الخمسينيات حينما نشر المؤلف في مجلة (السينما) العراقية ترجمة لكتاب (ديفيد ماكرشاك) عن (الطريقة) وبعض المقالات التي توضح عناصرها ، وعندما عاد (جاسم العبودي) من بعثته بشيكاغو اخذ ينادي بضرورة اللجوء إليها وتطبيق مفرداتها ، وهي إشارة ذكية من مؤلف الكتاب بأنه قد سبق العبودي بتعريف طريقة ستانسلافسكي للمسرحيين العراقيين .

وحتى فيما يخص التعرف على (برشت) فكان المؤلف هو أول من عرج على نظرية المسرح الملحمي عبر مقالة قد ترجمها ونشرها في مجلة (السينما) عام ١٩٥٦م ، ومن ثم بشر (إبراهيم جلال) عندما عاد من بعثته الدراسية من أمريكا أوائل الستينيات بأفكار برشت التي اطلع عليها أثناء دراسته .

وحول أزمة النص المسرحي العراقي توصل (عبد الحميد) إلى ان هناك مؤثرات عديدة أدت إلى تباين واضح بين وفرة النصوص المسرحية الجديدة وبين الطلب عليها ، أولها عامل الاستسهال فالمخرج يستسهل الركونة إلى نص أجنبي مترجم تتوافر فيه كل عناصر الجودة ، وان المسرح في العراق عبر أكثر من قرن من تاريخه الحديث لم يستطع ان يرسي تقاليد واضحة فيما يخص التأليف المسرحي ، زد على ذلك انه ما يزال تجريبيا في جميع جوانبه الفنية ومنها التأليف ، والمعروف ان التجريب قد يخطئ أو يصيب . وراح الفصل الثالث على ذكر تجارب مميزة في مسرحنا ، وهي مقالات قد سبق للمؤلف نشرها في الصحافة العراقية وهي : الملحمية في المفتاح والراية ، التجريب في الطوفان والحصار وتموز ، طليعية طه سالم التي افتقدناها ، كتابات جليل القيسي مرآة لروح العصر ، خمسة مخرجين اخرجوا ماكبث ، حقي الشبلي ويوليوس قيصر وجعفر السعدي ، واقعية الشريعة بين قاسم محمد وفاضل خليل ، صلاح القصب ومسرح الصورة .

ختم الكتاب بأربع دراسات حول مسارات المسرح في العراق التي قسمها المؤلف إلى : مسار المسرح التجاري ، ومسار فرقة الدولة ، ومسار مسرح الشباب ، ومسار المسرح الأكاديمي .

وبهذا قد أصاب الباحث والفنان الأكاديمي سامي عبد الحميد بان يؤصل لهوية المسرح العراقي وخاصة ان الأمم تفتخر بأصلة فنها المسرحي ، بعدما أصبح المسرح فنا كونيا تشترك فيه البلدان في مختلف أنحاء العالم.

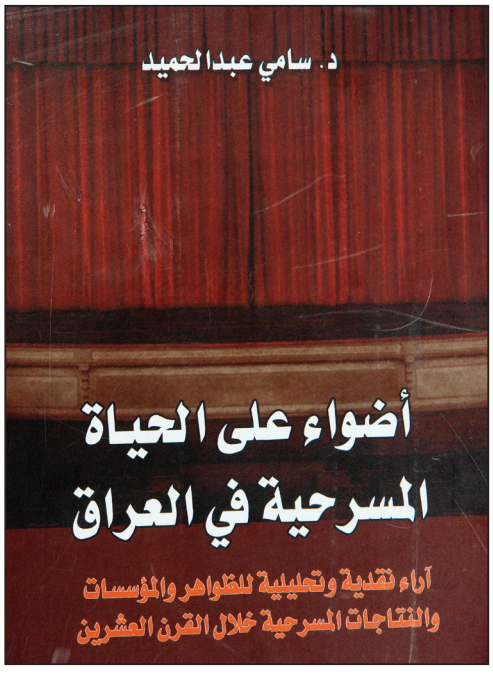

آفـــاق

القابض على الجمر (1-2)

سعد محمد رحيم

لا أعرف كتّاباً عراقيين كثيرين نشروا يومياتهم، وأحسب أن أغلبهم لا يميلون إلى هذا النوع من الكتابة لأسباب شتى. وقد يكتبونها من غير أن يفكروا بنشرها، وهذه لها أسبابها كذلك، ولست، الآن، بصدد الخوض، في هذا. ولا أدري إن كان المبدع الراحل قاسم عبد الأمير عجام يروم نشر يومياته في حياته، أو بعد وفاته، تلك التي كتبها، مع انقطاعات تطول أو تقصر، على مدار ما يقرب من الأربعين سنة، فجمعتها وحررتها، بعد حادث اغتياله المروّع الناقدة الدكتورة نادية غازي العزاوي. لتنشرها في كتاب عنونته بـ (القابض على الجمر/ دار الشؤون الثقافية العامة ٢٠٠٩) مع مقدمة ثرية تضيء جوانب من شخصية الكاتب، ومن خواص هذا العمل الدؤوب وملابسات كتابته والعثور عليه. وأعتقد أن هذا الكتاب يعد وثيقة لها قيمتها التاريخية والأدبية، مثلما تؤكد العزاوي، فعبر مذكرات قاسم ويومياته ورسائله نتعرف على الخطوط والأبعاد الخفية لا لذات الكاتب وحدها وإنما، أيضاً، لطبيعة المرحلة التاريخية، بتحولاتها وأزماتها وإشكالياتها، التي شكّلت خلفية بانورامية لتلك الكتابات، لتنعكس بالتالي على بنيتها الشكلية وشبكة دلالاتها.

تخبرنا الدكتورة نادية العزاوي، بدءاً، عن ثلاث مفاجآت صنعت هذا الكتاب؛ مفاجأة استشهاد قاسم على يد مجموعة إرهابية في ٢٠٠٤/٥/١٧. ومفاجأة يومياته التي وقعت بين يديها، ومفاجأة سيل الرسائل التي تلقتها من معارفه وأصدقائه والمتضمنة تفاصيل غنية عن حياته. تقول العزاوي عن هذه اليوميات أنها "لم تنتظم ضمن (شكل) محدد، فهي أحياناً أقرب إلى أسلوب (المقالة) الذاتية. وأحياناً تتوسل بالسرد القصصي، وتارة تكون خواطر ومنولوجات وتارة تبدو رؤوس نقاط لمحاضرة أو دراسة، أو عروضاً لمجلات وكتب، بينما كُتب البعض الآخر منها بصيغة رسائل شخصية". ولا عجب في هذا طالما أنها (أي هذه الكتابات) دونت في فترات متباعدة وخلال مدة زمنية تصل إلى أربعة عقود، ومن غير أن يكون في ذهن كاتبها بأنها تمثّل مشروعاً أدبياً موحداً مثلما يكتب المرء رواية، أو بحثاً في موضوعة معينة.

في أوراقه (يومياته) يتحدث قاسم عن تجربته التي هي تجربتنا، عن أحلامه وأحزانه وإحباطاته التي لا تختلف عن أحلامنا وأحزاننا وإحباطاتنا.. ما خبره وخبرناه، ما عاناه وعانيناه. ولذا فإن القارئ العراقي الذي خضع للامتحان الاجتماعي والسياسي والوجودي ذاته، وإنْ بتفاصيل ودرجات متباينة، لابد أن يفهم ما لن يفهمه بدقة أي قارئ آخر مهما كانت درجة ذكائه وقدرته على التحليل وفك شفرات النصوص. فدوماً نجد، إلى جانب الجمل البسيطة الواضحة والمباشرة، جملاً مخاتلة وماكرة بحاجة مثلها إلى قراءة مخاتلة ماكرة (غير بريئة) تنفذ إلى ما وراء السطور، إلى لا وعي الجمل والنصوص، لتلمس مقاصد الكاتب، وما بذره ثمة من دلالات كثيفة مغلّفة. كذلك فإن مقاطع اليوميات الواضحة، غالباً ما تخفي فراغات عديدة تومئ إلى ما سكت عنه النص، إلى ما لم يقله وتركه لفطنة القارئ. فقد كان قاسم يكتب وفي ذهنه الرقيب، عين السلطة المتلصصة القادرة على الولوج إلى مخابئ أسرارنا، مهما احتطنا وفعلنا. وأرى أن قراءة موضوعية تحفر في طبقات هذه النصوص ستمنحنا صورة لا عن وضعنا الاجتماعي والسياسي، في فاصلة زمنية متوترة من تاريخنا وحسب، بل وعن طبيعة أنظمة الحكم التي تعاقبت على إدارة الدولة العراقية لاسيما المستبدة والديكتاتورية منها. وحالة الخوف والتردد والشعور بالحصار النفسي والفكري التي فرضته علينا.. نقرأ في سبيل المثال، ما كتبه يوم ١٩٧٨/١٢/٢٥ بعد عودته من سفره إلى الاتحاد السوفيتي السابق؛ "إنني لا أكتب عن الرحلة إياها بل عن الإنسان المحاصر بالخذلان الذي أصبحته وأصبحه الآلاف، فعندما يُحسم الأمر ويكون الخيار بين الموقف والاستسلام فالحقيقة تستقيم مع اختيار الموقف ولكنك لن تستطيع لأنه الموت، وهو التضحية الواجبة ولكن الحال تشهد مئات الاستثناءات فالناس غير الناس والقضية في سفينة تغرق... المحنة أكبر من كل الكلمات حقاً، ويكفي أن بعض صورها هو الخوف الذي يشل القلم أن يكتب عنها حتى على هذه السطور التي تفترض أنها آمنة، ولكن هل عاد لنا شيء أي شيء من أمان".

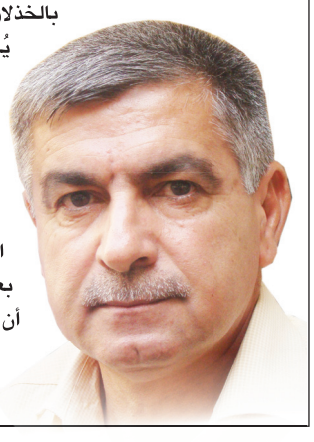

إصدارات دار المدى للثقافة والنشر

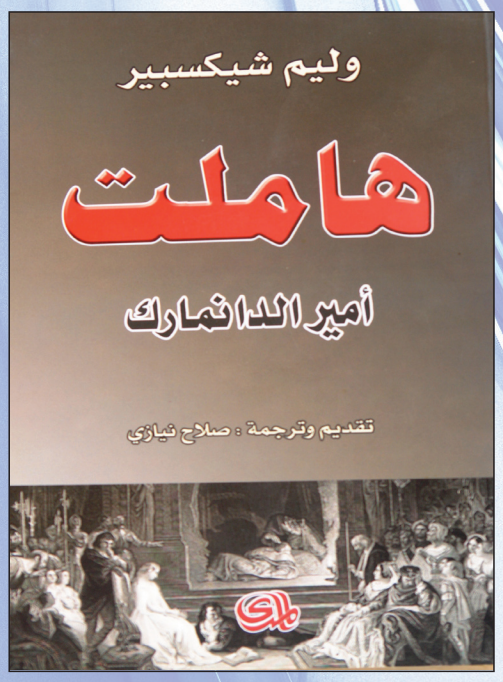

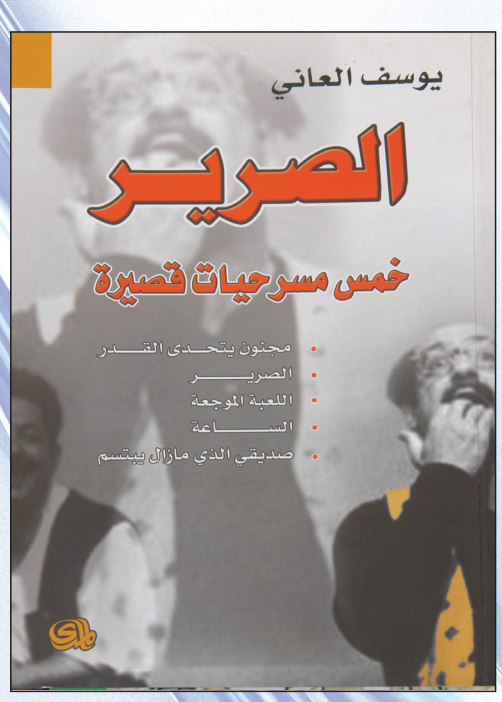

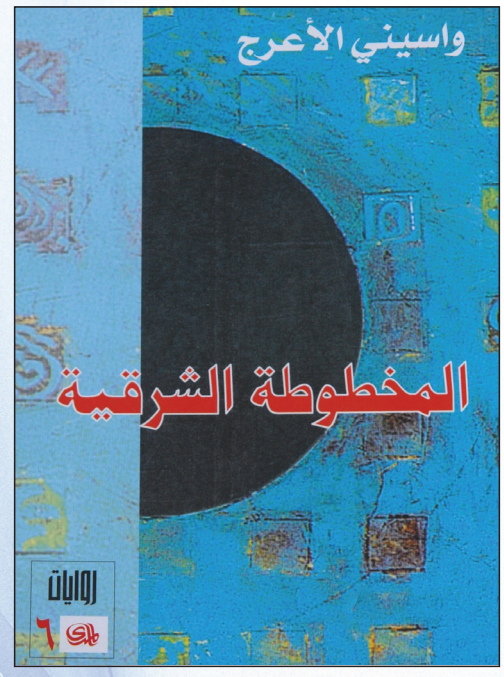

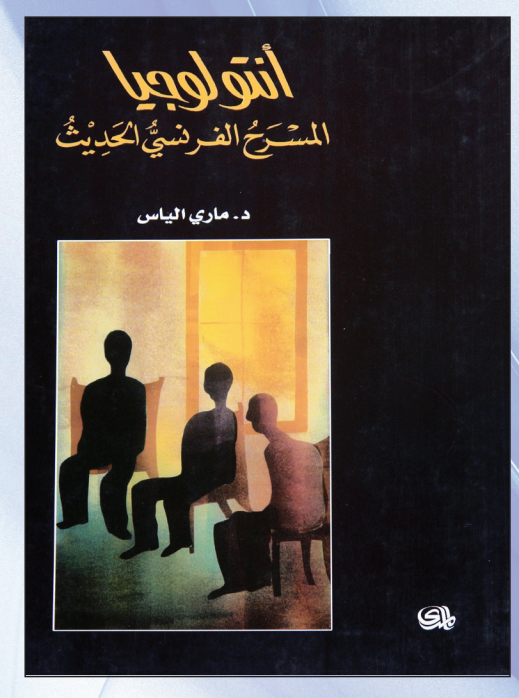

تطلب من مكتبة المدى وفروعها: بغداد - شارع السعدون - قرب نفق التحرير .. بغداد - شارع المتنبي - فوق مقهى الشابندر .. اربيل - شارع برايه تي - قرب كوك

تحرير | علي حسين - علاء المفرجي
الاخراج الفني | مصطفى جعفر
التصحيح اللغوي | يونس الخطيب

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون